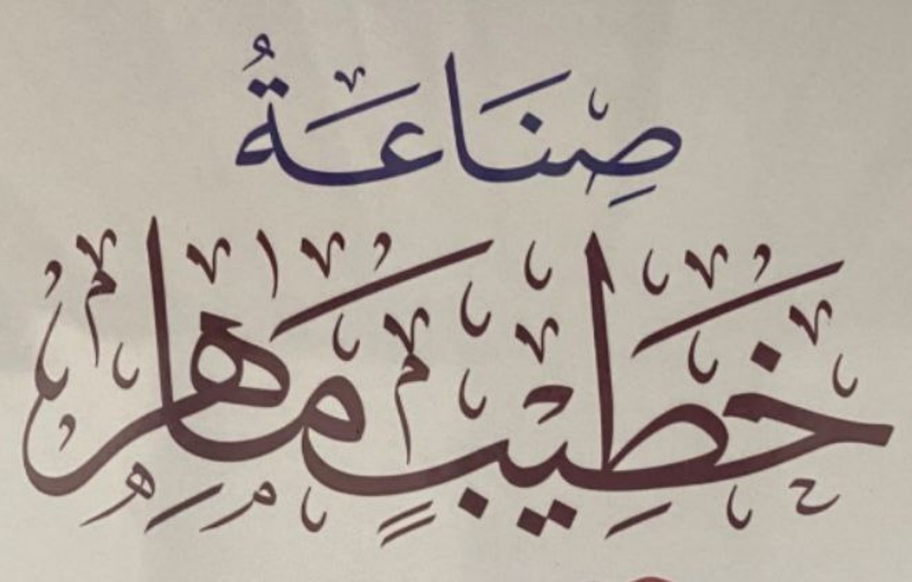


تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ

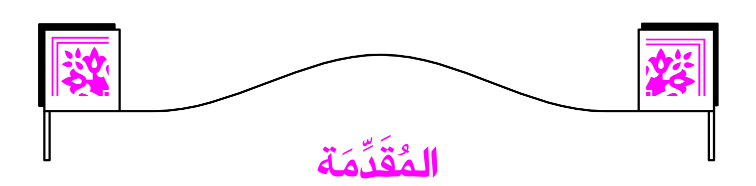
الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ

تأليف

أحْمَد بْن نَاصِرِ الطَّيَّارِ


بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَاّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنِّي أحببتُ المشاركةَ في إثْراء موضوعِ خُطْبةِ الجُمُعة، بكتابة أهمِّ الأساليبِ والطُّرقِ التي هي ـ بعد توفيق الله تعالى ـ سُلَّمٌ لخطيب الجُمُعة، يرتقي بها ويصعَدُ إلى سَماء الإبداعِ والتَّأثير.

وهي في الأصلِ تجارِبٌ خضتُها وجرَّبتُها ورأيتُ آثارَها النَّافعة، وثمارَها اليانعة، ونتائجَها المباركة.

ونقلْتُ عن أهل الاختصاص زُبدةَ كلامِهم وتجاربِهم ونصائحِهم.

وَإنِّي عَلَى يَقِينٍ تَامٍّ، وَقَنَاعَةٍ رَاسِخَةٍ: بأنِّي لستُ في مصافِّ الخطباء الذين أمضوا عشرات الأعوام في الخطابة، والذين لهم الأثرُ البالغُ في نفْعِ النَّاس عبر خطبهم المباركة، وليستْ مشاركتي هذه موجهةً لهم، فأنا لا زِلْتُ أتعلّم منهم ومِن غيرِهم، ولكنِّي أحببتُ أنْ أُفيد مَن هو مثلي، ومَن يأتي بعدي مِن طلاب العلم والخطباء والدُّعاة إلى الله.

وَمَا أقُولُ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ[(١)]: «فِي نُظَرَائِي، وَأشْكَالِي مَنْ فَهْمُهُ أَثْبَتُ مِنْ فَهْمِي، وَذِهْنُهُ أَنْفَذُ مِنْ ذِهْنِي، وَحِفْظُهُ أَغْزَرُ مِنْ حِفْظِي، وَقَلْبُهُ أَذْكَى مِنْ قَلْبِي، لَكِنِّي آثَرْتُ أنْ يَكُونَ لِي فِيمَنْ دُونِي أَثَرٌ، كَمَا كَانَ لِمَنْ فَوقِي عِنْدَي أَثَرٌ». اهـ.

هذا؛ وأسألُ اللهَ تعالى أنْ ينفعَ بهذا الكتابِ، إنَّه جوادٌ كريم، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

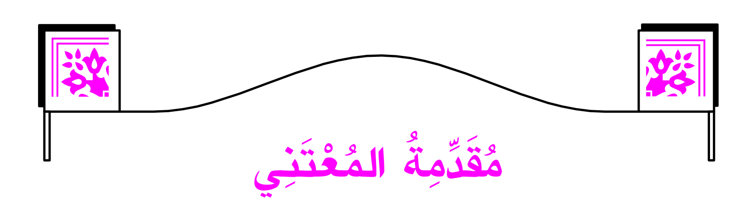
وقد راجَعَ هذا الكتابَ نخبةٌ مِن المشايخ والخطباء، وطلَّابِ العِلْمِ الفضلاء، الذين أكرموني بملحوظاتِهم، وسدادِ آرائِهم، وصوابِ استدراكاتِهم، جزاهم اللهُ خيرًا، ونفَعَ بِهم، وجعلَ ما قدموا في ميزانِ حسناتِهم.

وأخصُّ بالشُّكر الشيخ الصَّديق سمير الدليمي على عنايتِه بالكتاب، وفقه اللهُ وباركَ فيه.



أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد اللّه بن نوفل بالزلفي
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
تاريخ الانتهاء من إعدادِه يوم الخميس،
الموافق: ١٤٣٩/١٢/٢٦هـ

(١) في كتابِه: «البَصَائِرِ وَالذَّخَائِر» (٧/ ٢٦٩).



مُقَدِّمةُ المُعْتَنِي

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالقُرْآن، الذي فِيهِ الفَصَاحَةُ وَالبَيَان، وَالصَّلاةُ وَالسَّلام عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِم، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَطَقُوا بِأَبْلَغِ الحِكَم.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِخِدْمَةِ هَذَا الكِتَابِ ـ بِطَلَبٍ مِنِّي ـ، **وَلَقَدْ شَدَّتْنِي قِرَاءَتُه، وَأَعْجَبَنِي طَرْحُهُ وَكِتَابَتُه**، وكَأَنَّهَ ـ وَاللهِ ـ غَيْثُ رَبابَة[1]، دَرَّ عَلَينَا بِآدَابِ الخَطِيبِ وَصِنَاعَةِ الخَطَابَة، فَأَنْبتَ عُشْبًا وأزهارًا مُختلفةً ألوانُها، فَذَهَبْتُ مُنْتَقِلًا بَيْنَ وَرْدٍ وريحَانَةٍ، قَدْ فَاحَ عِطْرُهَا؛ كأَنِّي نَحْلَةٌ تَسْتَنْشِقُ رَحِيْقَهَا.

فَأَرَدْتُ إِصَلاحَهُ فَأَصْلَحَنِي، وَرُمْتُ تَرْتِيبَهُ فَرَتَّبَنِي وَأَدَّبَنِي، وَكَانَ قَلْبِي يَخْفِقُ بَيْنَ أَوْرَاقِهِ وَيَطِيرُ كَالعُصْفُور؛ كَأَنِّي فِي رَوْضٍ وَأَشْجَارٍ وَعَيْنِ مَاءٍ تَفُور.

فَقَدْ أَوْدَعَ فِيهِ المُؤَلِّفُ ـ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالَى ـ نَصائِحَ وَعِبَرًا، وَأَمْثَالًا وَدُرَرا، **فَرَفَعَ** مِنْ هِمَّةِ الضَعِيف، **وَقَوى** عَزِيمةَ الشَّرِيف[2]، **وَأَذْهَبَ** خَوْفَ

(١) **الرَّبَابَة**: هي: السَّحَابَة، وقيل: السَّحَابَةُ التي ركب بعْضُها بعْضًا، كما في الحديث الطويل الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٧٠٤٧)، من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ...**» الحديث.

(٢) **الشَّريف**: مِن معانيه: أنه ذو صفات خُلُقيَّة عالية، سامي الشُّعور أو التفكير.

العَاجِز، فقَامَ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ وَبِلِسَانِهِ يُنَاجِز[(١)]؛ لَعَلَّهُ يُدْرِكُ فَصَاحَةً وَبَيَانا، وَخُطْبةً وَإِحْسَانا، **فَقَدْ بَرْهَنَ لَهُ المُؤَلِّفُ** بِالتَّجْرِبَةِ بُرْهَانا، **وَحَذَّرَهُ** مِنْ مَسَالِكِ الزَّلَل، **وَكَيْفَ يَعَالِجُ** نَفْسَهُ إِذَا وَقَعَ في خَلَل.

وَعُذْرًا لِلْقَارِئِ الكَرِيمِ إِنْ تَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ قَلَمِي؛ فَسَطَّرَ بِلا شُعُورٍ بَنَانِي، فَرُبَّما قَائِلٍ يَقُولُ في الوَصْفِ بَالَغْت، وَمِنَ السَّجْعِ أَكْثَرْت، وَمَا ذَنْبِي إِذَا هَاجَتْ المَشَاعِرُ ـ بِصِدْقٍ ـ فَخَرَجَتْ مِنْ صَدْرِي هَارِبَة، فَانْقَادَ قَلَمِي لهَا كَاتِبَة، فَهَلْ يَقْدِرُ المَرْءُ عَلَى كَتْمِ عَطَسِه، وَعَدَمِ إِخْرَاجِهَا مِنْ مَعْطَسِه[(٢)].

عَمَلِي فِي الكِتَاب:

١ ـ غمَّقْتُ العناوين وضبطتُها بالتَّشكيل التَّامِّ تقريبًا.

٢ ـ غمَّقْتُ الآيات القرآنية، والأحاديثِ النبوية، وبعْضَ الآثار وأقوال العلماء، وبداية كلِّ مقْطع مهم، أو الجمل الجميلة النَّافعة التي خطَّها المؤلفُ بقلمِه، وغايتي شدُّ القارئ لقراءتِها والتأمُّل فيها، والانتفاع بها، حتى لا يشرد ذهنُه، ولا يحار طرفُه.

---

(١) **مِن الـمُنَاجَزَة**: وهي كفاح، ونضال، ومجاهدة؛ أي: معناه: أنَّ العاجز بعد ما اطلع على هذا الكتاب، وقرأ ما فيه علتْ همَّتُه ورغبتُه، وشمَّر عن ساعد الجدِّ، وترَكَ العجْزَ والكسلَ، فجاهَدَ نفسَه وروَّضَ لسانَه؛ لأجل أن يدرك معاليَ الأمور، فيكون فصيحًا ذا بيان، وخطيبًا ذا ارتجال، كي يُحْسِنَ في تبليغ شرع الله ـ تبارك وتعالى ـ للنَّاس.

(٢) **مَعطَسِه**: أي: أنفِه؛ لانَّ العُطاس يخرج مِن الأنف بلا اختيار، وهكذا مشاعري خرجتْ مِن صدري، فجرى بها قلمي، فما قدرْتُ أن أحبسَها، أو أتجاهلَها، ولولا أنَّ المؤلِّفَ يكره الثناءَ الكثيرَ لأطلتُ الكتابَة، ولسطَّر القلمُ ما أنابَه، عند قراءتي لهذا الكتاب النَّافع الماتع.

٣ ـ أصلحْتُ بعضَ الأخطاء الإملائية وهي قليلة، وشكلْتُ كثيرًا مِن الكلمات.

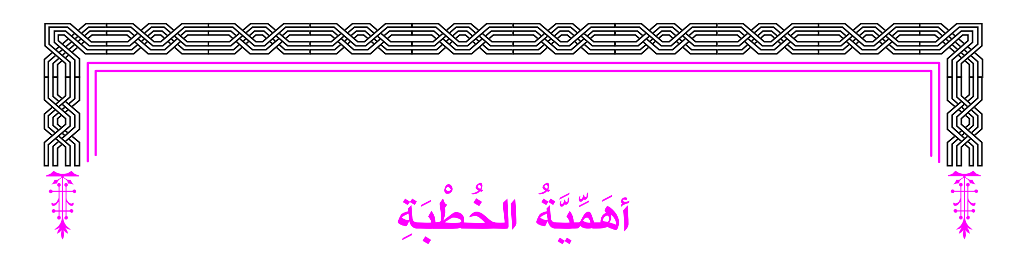
٤ ـ شرحْتُ ـ بإيجاز ـ بعْضَ الكلماتِ الغريبة، وعزوتُ بعضَ الأقوال إلى مصادرِها، والإتيان بألفاظِها، وهي كذلك قليلة.

وهذا أبرزُ ما فعلتُه، وهو جُهْدٌ قليلٌ لا يُذكر، ولولا أنَّ المؤلِّف ـ سدَّده اللهُ ـ طلبَ ذلك مِنِّي لما ذكرتُه، ومهما حَرَصَ المرءُ على إتقانِ عملِه إلا ويقع في خطأٍ، أو سهْوٍ، أو سُوءِ فَهْم، فجزى اللهُ خيرًا مَن أهدى لي عَيْبي، وبطيبِ نصَحَني، فأكونُ شاكرًا له مِن قَلْبي، فأسألُ اللهَ القَبول إنْ أحسنت، وأنْ يتجاوز عنِّي إنْ أخطأت. كتبه:

أبو عبْدِ اللهِ سَمِيْر الدُّلَيْمِيُّ:

إمام مسجد الشَّهيد راشد أحمد سيف النَّقبيّ، (وخطيب مُتَنَقِّل) في مدينة خور فكان، إمارة الشارقة ـ دولة الإمارات العربيَّة المتحدة، مساء الثلاثاء بتاريخ: ١٢/رجب/١٤٤٠هـ، الموافق: ١٩/٣/٢٠١٩م، رقم الهاتف: ٠٠٩٧١٥٠٢٠٨٣٩٦٦





أهَمِّيَّةُ الخُطْبَةِ

مِنْبَرُ الجُمُعَةِ: مِن أقوى ـ بل أقوى ـ وسائل التَّأثير على النَّاس إذا حسُن تفعيلُه، حيثُ يُخاطِبُ الخطيبُ النَّاس مرةً كلّ أسبوع على مَدى سنوات قلّتْ أو كثرتْ، وقد فتحوا له عقولَهم، وشرحوا له صدورَهم، فلا ينشغلونَ عنه ولو بمسّ الحصى، ويَتَلَقَّفُونَ مِنْه النَّصائحَ والمواعظَ والدروسَ والعبرَ بشكل متكرر ومستمرّ.

وَالخَطِيبُ النَّاجِحُ المُوَفَّقُ الذي أعطاه اللهُ الأسلوبَ المقنع، والبيانَ القوي: سيؤثر فيهم تأثيرًا بالغًا ولا شكَّ، وربما يكون أشد وأقوى مِن تأثير الـمُعَلِّم على طلابِه، وأشد مِن تأثير مواقع التَّواصل الاجتماعي؛ لأنَّ الخطيبَ المفوه النَّاصح البليغ يُخَاطِبُ النَّاسَ مباشرةً وهو واقفٌ أمامَهم، يشاهدون تَعَابِيرَ وَجْهِه، ونظراتِ عينيه؛ فيؤثر فيهم عبر حاسة السَّمع والبصر، ويُلامس قلوبَهم وعقولهَم، ويظلُّون مُنْصتينَ له قُرَابةَ ربع ساعة، ويسوق لهم الحُجَج والبراهين العقلية والنَّقلية التي يستطيعُ مِن خِلالها ـ بإذنِ الله ـ أنْ يقنعَهُم ويُصَحِّحَ مفاهيمَهُم.

وَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ يأتيهم بموضوع يلامسُ مشاعرَهم، ويأخذُ بقلوبِهم، ويلتقي بهم خِلال عام واحد خمسين مرّةً، **فَهَلْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ أَقْوَى تَأْثِيرًا مِنْ هذهِ الوَسِيلَة؟**

فَلَا غَرْوَ أنْ كَانَتْ خُطْبَةُ الجُمُعَةِ مِن أشرف شعائر الإسلام، وأحد أهم ميادين الدعوة إلى الله وتبليغِ شريعتِه، وإقامة الحجة على عباده،

وهي التي يتمنى أعداء الإسلام أن يكون في دينهم مثلها، حتى قال أحدُ زعماءِ الأحزاب التي تحارب الإسلام: «آهٍ لو كان عندي مثل هذه المنابر؟!»[(١)].

«وتَشرُف العلومُ والصنائع بمقدار ما تشرُف غاياتها، وللخَطابة غايةٌ ذاتَ شأنٍ خطيرٍ، وهي إرشادُ النَّاسِ إلى الحقائق، وتشويقِهم إلى ما ينفعُهم في هذه الحياة، وفي تلك الحياة.

والخطابة معدودةٌ في وسَائلِ السِّيَادَة والزَّعَامة..

فَفِي الخَطَابَةِ: شرفٌ عظيمٌ، وشَرَفُها في أن يكونَ القائمُ عليها نبيهًا عالِمًا بليغًا»[(٢)].

وَقَدْ أوجَبَ الشَّارِعُ على المصلي أن يُنْصِتَ لك ـ أخي الخطيب ـ أثناء خطبتك، قال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ**» متفق عليه[(٣)].

بَلْ، وَيُسَنُّ للنَّاسِ أنْ يصرفوا وجوهَهم لك، وقد نقل النَّووي وابنُ المنذر وابنُ عبد البر ـ عليهم رَحْمَةُ الله ـ الإجماعَ على اسْتحباب ذلك[(٤)].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: «وكان ﷺ: إذا خطب في الجُمُعة، استدار أصحابُه إليه بِوُجُوهِهِمْ، وكان وجْهُه ﷺ قِبَلَهُم في وقتِ الخُطْبة». اهـ[(٥)].

(١) نقله صاحب كتاب: «خواطر في الدعوة» (٩٤).
(٢) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٧٨ ـ ١٧٩).
(٣) البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١).
(٤) «المجموع» (٤/٤٤٧).
(٥) «زاد المعاد» (١/٤١٦).

وَيَوْمُ الجُمُعَةِ: مِن أحب وأعظمِ الأيام عند الله تعالى، ويكفي في فضلِه وشرفِه قولُ النبيّ ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**» رواه مسلم(١).

ولهذا، فقد خصَّه النبيُّ ﷺ: بمزيدِ عنايةٍ واهتمامٍ؛ لأنه كلمَّا عظُم زمانٌ أو مَكانٌ، عظُمتْ الطاعةُ والعبادةُ فيه.

وَأعْظَمُ عِبَادَةٍ يَقُومُ بِهَا المُسْلِمُونَ فِي هَذَا اليَوْمِ: صلاة الجمعة، التي هي من آكد فروضِ الإسلام، ومِن أعظمِ مجامع المسلمين، وهي أعظمُ مِن كلِّ مَجْمَعٍ يجتمعون فيه، سوى مَجْمَعِ عرفة، ومَن تركها تهاونًا بها طَبع اللهُ على قلبه، وقُرْبُ أهل الجنة يوم القيامة، وسَبْقُهُم إلى الزيارة يَوْمَ المَزِيد(٢)، بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرِهم. **كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّم** ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ(٣).

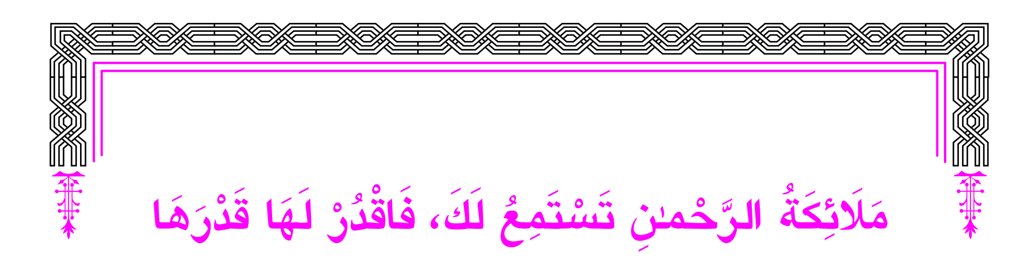


---

(١) (٨٥٤).

(٢) **يوم المزيد**: هو يوم الجمعة، يُسمَّى في الآخرة يوم المزيد، وقد ورد فيه حديثٌ طويل: أخرجه البزار في «مسنده» واللفظ له، والطبراني في «المعجم الأوسط»، وغيرهما، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٦١): حسن لغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ:
«**فَلَيْسُوا ـ أي: أهل الجَنَّة ـ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كَرَامَةً، وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ**».

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٣٦٥).



مَلَائِكَةُ الرَّحْمنِ تَسْتَمِعُ لَكَ، فَاقْدُرْ لَهَا قَدْرَهَا

يكفيك شرفًا وفخرًا ـ **يَا خَطِيبَ الجُمُعَة** ـ أنّ ملائكةَ الرَّحمٰن تحضرُ عندك للاستماع لخطبِكَ ومواعظِكَ، قال رسولُ الله ﷺ كما في «الصحيحين»[(١)]: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»**.

وَإِذَا اسْتَشْعَرتَ ذلك: عظُم قدْرُ الخُطْبة في قلبِك، وازددتَ حرصًا على قول الحقِّ وأداءِ الأمانةِ ونصحِ الناسِ وعدمِ مراقبتِهِم ومداهنتِهِم.

فَمَنْ مِثْلُكَ ـ أَيُّها الخَطيبُ المُبَارَك ـ؟

أَوْجَبَ اللهُ على النَّاس الاستماعَ لك والإنصات لكلامِك، حتى إنَّه نهاهم عن الانشغال ولو بتقليب الحصى[(٢)]، وعن إنكار المنكر أثناء حديثك[(٣)]، وجعلَ ملائكته يستمعون لك!

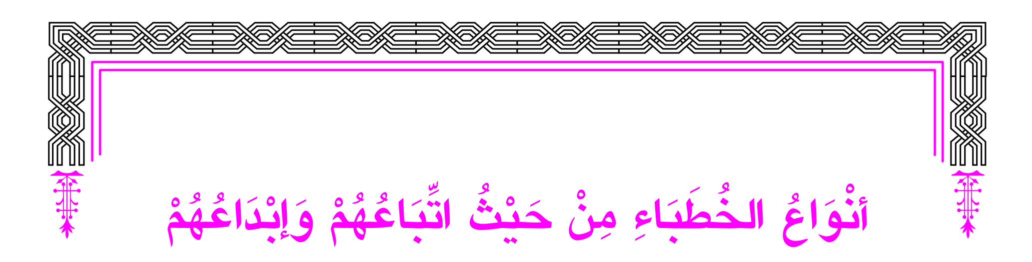
وهذا يُحَتِّمُ علَيك أنْ تنصح غاية النُّصح في خطبك ومواعظِك، وأنْ يكون مقصودُ خطبك ذكر الله، وموعظة الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم وما يُصلحهم في دنياهم.

---

(١) البخاري (٣٢١١)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) روى مسلم (٨٥٧): عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ مَسَّ الحَصَى فَقَدْ لَغَا»**.

(٣) روى البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١): عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ»**.



أنْوَاعُ الخُطَباءِ مِنْ حَيْثُ اتِّبَاعُهُمْ وَإبْدَاعُهُمْ

الخُطَبَاءُ كغيرهم؛ يختلفون حسب اختلافِ مشارِبِهم ومقاصدِهم، وحسب هِمَمِهِم وهمومِهِم، وحسب أهدافِهِم وغاياتِهِم.

وَلَا يَخْلُو الخُطَبَاءُ مِنْ أحَدِ أقْسَامٍ أرْبَعَة:

الأوَّلُ: مَنْ جَمَعَ بَيْنَ سُوءِ الاتِّبَاعِ وَضَعْفِ الإبْدَاعِ؛ كحال أهل الأهواء والبدع، الذين ليس لهم همَّة في نشر باطِلِهم.

الثَّانِي: مَنْ عِنْدَه سُوءُ الاتِّباعِ وَقوَّةُ الإبْدَاعِ؛ كحال أهل الأهواء والبدع، الذين لهم همَّة في نشر باطِلِهم، وجعلوا المنبر وسيلةً لنشره.

الثَّالثُ: مَنْ عِنْدَه صِدْقُ الاتِّباعِ وَضَعْفُ الإبْدَاعِ؛ كحال بعْضِ خطباء أهلِ السُّنَّة، الذين ضعُفتْ هِمَمُهم، **وَغَايَةُ مُرَادِ أحَدِهِم**: جمع مادةٍ يلقيها على النَّاس بلا أهداف نبيلة، وغايات سامية.

الرَّابعُ: مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صِدْقِ الاتِّباعِ وَقوَّةِ الإبْدَاعِ، وهو الذي جرى حبُّ اللهِ تعالى في عُروقِه، وسرى طلبُ تبليغِ رسالاتِه إلى سويداء قلبِه، وجعلَ المنبر أحدَ أهمِّ أبوابِ نشرِ الخيرِ والعلْمِ ولم يقتصرْ عليه؛ بل له مشاركاتٌ ومساهماتٌ في كلّ ميدان مِن ميادينِ الخيرِ والبرِّ قدر استطاعتِه، أينما كان الخير وجدتَه أحد روّادِه، وأينما كان البذل رأيتَه أحدَ أقْطابِه، وأينما كانت التَّضحية لله وجدتَه أحدَ أجنادِه.

فَهَذَا الخَطِيبُ: هو الذي «تجري الدعوة إلى الله في عروقه ودمه

كما كان الأنبياء والمرسلون ـ علَيهِمْ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، والدُّعاة المخلصون لأمة الإسلام»[١]، الحريصُ على التَّجديد والجذب والتَّشويقِ لِمُسْتَمعِيه.

«فهناك الكثيرُ مِن الخُطباء الذين تتوافر فيهم مقومات الخطيب لم تكن لخُطْبَتِه ثمرة مرجوة؛ كما هو مطلوب للخطيب الذي يحمل الرَّسالة بصدْقٍ وإخلاص.

قَالَ أحَدُ العُلَمَاءِ: إنَّ الدَّاعية غيرُ الخطيب؛ الخطيبُ خطيبٌ وكفى، والدَّاعية مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة، والعمل الجادّ في سيرته الخاصة والعامة وبكل ما يستطيع من وسائل.

وَالدَّاعِيَةُ: هو كاتبٌ وخطيبٌ ومحدِّثٌ وقدوةٌ يؤثر في النَّاس بعملِه وشخصِه، والدَّاعية قائد في محيطه»[٢].

«**والخَطِيبُ البَارِعُ**: يقف في الجُنْدِ المتباطئ، ويصفُ لهم ما ينالُه الأبطالُ مِن عِزَّةٍ يوم يعيشون، أو سعادةٍ يوم يموتون، فينقلبُ التَّرَدُّدُ عَزْمًا صارمًا، والإحجامُ هجومًا رائعًا.

الخَطِيبُ البَارِعُ: يقف في الجماعة الخاملةِ، فيهزُّ قلوبَهم هَزًّا، فإذا هي ناهضةٌ مِن خُمُولها، عاملةٌ لإعلاء ذِكْرِها، مُقْتَحِمَةٌ كلَّ عقبةٍ تقوم في طريقها.

الخَطِيبُ البَارِعُ: يقف بين قوم نشؤوا في بيئةٍ مُغْبَرَّةٍ جهلًا وعَمَاية، أو تلقَّتهم دُعَاة الغَوَاية، قبل أن تألفَ الحقَّ بَصَائِرُهم، ويَشتدَّ في العلم

(١) «الخطابة في موكب الدعوة» (٦٠).

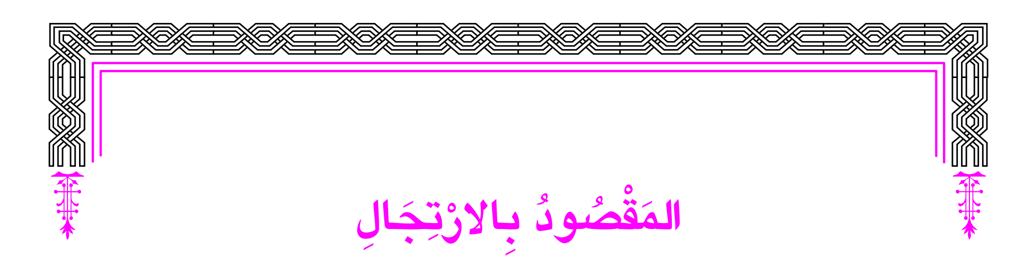
(٢) «الخطابة»: إعداد: جامعة المدينة العالمية (٩٢ ـ ٩٣).

ساعدُهم، فلا يبرح يعرِض عليهم سُبُلَ الهداية في استوائها ونقائها، فإذا هم الرِّجَالُ المصلحون، أو الزعماء الناصحون.

الخَطِيبُ البَارِعُ: يقف بين طائفتين استعرت بينهما نارُ العداوة، ولم يبق بينهم وبين أن يصبح لونُ الأرضِ أحمرَ قانيًا إلا شِبْرٌ أو ذراع، فيذكِّرهم بعواقب التَّدَابر، وينذرهم مصارعَ التقاتل، فإذا القلوب راجعةٌ إلى ائتلافها، والسيوفُ عائدةٌ إلى أغمادها»[1].



(١) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٨٠).



المَقْصُودُ بِالارْتِجَالِ

المَقْصُودُ بِالارْتِجَالِ أَمْرَانِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: أنْ يخطُبَ بِلا ورقةٍ مطلقًا.

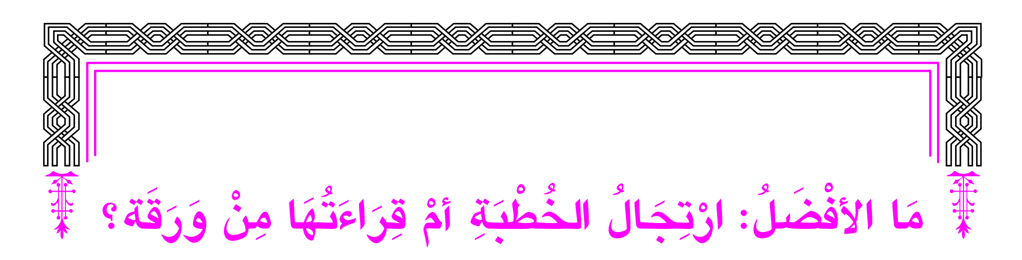
الأَمْرُ الثَّانِي: أنْ يخطُبَ وبين يديه ورقةٌ كتَبَ فيها أهمَّ ما سيتكلمُ عنه، وهذا أفضلُ في البداية بكثير؛ لأنَّه أسلم مِن التَّشتت والإطالة، ومِن الارتباكِ الذي قد يسبِّبُه نسيانُ بعْضِ الأدلَّةِ أو الفِقْرَاتِ.

«وفي النَّاس مَنْ يقفُ ليخطب فَتَنْهَالُ عليه المعاني، وتتسابقُ إليه الألفاظ، فيسترسلُ في القول دون أن يُدرِكَه حَصَرٌ أو يَتعثَّرَ في لَجْلَجَةٍ.

وفي النَّاس مَنْ تجيئُه المعاني على مَهَلٍ، وتتوارد عليه الألفاظُ في تباطؤ، فلا يحسن أنْ يخطُبَ إلا بعْدَ أن يُعِدَّ لمقام الخطابة مَقَالًا»(١).



(١) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٩٨).



مَا الأفْضَلُ: ارْتِجَالُ الخُطْبَةِ أمْ قِرَاءَتُهَا مِنْ وَرَقَة؟

لا شكَّ أنَّ في قراءة الخطيب مِن ورقةٍ فيها منافعُ كثيرة، وقد تكون أنسب لكثيرٍ من الخطباء والمتحدِّثينَ مِن الارتجال، وهذا أمرٌ مشاهدٌ وواقع.

فمَن جرَّبَ الارتجالَ مِرارًا، ووجدَ في ارْتجالِه الكثير مِن التَّردُّدِ أو التلعثم أو النَّسيان، أو الخوْف والتَّوتر الشَّديد، ولا يرى أنَّ هذه الأمور تَقِلُّ مع مرور الأيام وكثرة ممارسة الارتجال، فليقرأ الخطب، فما كلّ أحد يُوفق للارتجال، واللهُ تعالى كما قسم بين النَّاس الأرزاقَ الماديَّة، قسم بينهم الأرزاقَ المعنوية، مِن الأخلاق والقدرات والمواهب والهمم.

قالَ ابْنُ عَقِيْلٍ، وأبو المَعَالِي ـ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى ـ: **لِمَنْ لا يُحْسِنُ الخُطْبَةَ، قِرَاءَتُهَا مِنْ صَحِيفَةٍ.**

قالَ ابْنُ عَقِيلٍ: كَالقِرَاءَةِ في الصَّلاةِ لِمَنْ لا يُحْسِنُ القِرَاءَةَ .اهـ[١].

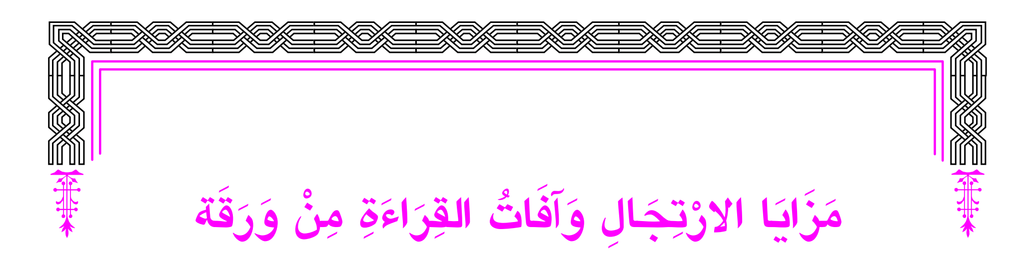
وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ: لم أجدْ مَن فضَّلَ القِراءةَ على الارْتجال إلا عند عدم القدرة على الارتجال كما ينبغي، وإلَّا فمَن يستطيعُ الإلقاءَ بلا ورقة، ويستحضر ما يريدُ قولَه؛ بلا تردُّدٍ ولا ارتباك ولا توتر، أفضل باتفاق العامة والخاصة ممن يقرأ مِن ورقة، وأشد حماسًا وتأثيرًا ونفعًا وقبولًا.

(١) «الفروع»، لابن مفلح (٢/ ٩٢).

فَالسُّؤَالُ فِي أَيِّهِمَا أفْضَلُ: ارْتِجَالُ الخُطْبَةِ، أَمْ قِرَاءَتُهَا مِنْ وَرَقَةٍ؟
كالسُّؤَالِ فِي أَيِّهِمَا أفْضَلُ: صَلاةُ القِيامِ حِفْظًا، أَمْ بِمَصْحَفٍ؟

فالسُّؤَالَانِ مُتَشَابِهَانِ، وَجَوَابُهُمَا بِالتَّفْصِيلِ لا بِالتَّفْضِيلِ.





مَزَايَا الارْتِجَالِ وَآفَاتُ القِرَاءَةِ مِنْ وَرَقَة

«مِن النَّاس مَن يكتب الخطبة، ثم يلقيها بالقراءة في الورقة التي كتبها فيها، وهذه الطريقة في الحقيقة لها آفات وعيوب كثيرة، فلن تستحل الأفكار دمًا يجري في عروق الخطيب إلا إذا مارس الحياة، وذاق حلوها ومرها، وعاش التجربة التي يحكيها، عندئذٍ يمكنه أن ينقل الأفكار إلى الآخرين بكل ما حولها من انفعالات وإيجابية، تحمله على تنفيذها في دنيا الواقع.

أَمَّا خَطِيبُ الوَرَقَة: فهو محرومٌ مِن هذا كلِّه، بعيد عن هذه السَّاحة الحافلة بالحركة والنَّشاط.

إنَّ اللفْظَ والصوْتَ والإشارةَ بل والهيئة كل أولئك عوامل تأثير لا بد مِنْها؛ كي تحول المستمعين من وضع إلى وضع، وتنقلهم مِن التلقي الرتيب لينهضوا مسارعين إلى ما دعاهم إليه الخطيبُ.

وَخَطِيبُ الوَرَقَة: بنبرته الرتيبة ووصفه الآلي لا يصل إلى ما ينبغي أن يكون.

إنَّ صوْتَه يمضي بالمستمع على نبرة واحدة، تفرض عليه النَّوم أحيانًا.

إنَّه مشغول بالنَّظر إلى ما خَطَّهُ قَلَمُهُ في الورقة خشيةَ الزَّلل، وإذًا فلا تلتقي عينُه بالمستمع الذي يحس بأنَّ شخصًا آخر يحدثُه غير هذا الخطيب الذي يراه، فلا رابطةَ بين الخطيب وبين المستمع»[١].

(١) «الخطابة في موكب الدعوة»، للدكتور محمود عمارة (١٢٨ ـ ١٣٠).

وَلِلارْتِجَال أثرٌ كبيرٌ في تفاعل الخطيب وحماسِه، وهذا يُؤدّي ـ بِلا شَكٍّ ـ إلى تأثر وحماس وانفعال المستمعين، والعكس بالعكس.

وَإِذَا أَرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ الفَرْقَ بَينَهُمَا: فاجعلْ بين ناظريك الطُّلاب في الإذاعة المدرسيّة، فإنَّ جُلَّ مَن يقرأ بورقة يكون أسلوبُه ضعيفًا، ولو كان قويًّا وصَوْتُهُ جَهْوَرِيًّا(١)، فَنَقْصُ تعلّقه بالورقة ونظره إليها وعدم كمال الإقبال على الجمُهور لا ينفك عنه.

بِخَلافِ ذَلِكَ الطالب الذي حَفِظَ أو اسْتحضر ما سيقول، وأقبل على القوم يخاطبهم وهو يلتفتُ يمنة ويسرة بهدوء ورِبَاطَة جَأشٍ، وتفاعل كبير، فإنَّك لن تختلف معي بأنّ الحاضرين من المعلمين والطلاب قد انجذبوا لحديثه، وأَسَرَهم بقوة أسلوبِه، وسَحَرَهُم بجميل مَنْطقه وبيانه، وأثَّر عليهم بإقباله إليهم بوجهه، وحرَّك مشاعرهم بقسمات وجهه، وتعبيرات نظراتِه، وتلويح يديه.

ثُمَّ إنَّهُ مِنَ المَعْلُومِ أنّه إذا اشتركتْ حاسةُ السَّمع والبصر في التَّلقي كان ذلك أقوى في الاستيعاب والتَّأثر ورسوخ المعلومة، بخلاف انفراد أحدهما، **فَالخَطِيبُ الَّذِي يَرْتَجِلُ، وَيُقَابِلُ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، وَيُخَاطِبُهُمْ بِعَينِيهِ** أقوى في التَّأثير مِن الذي يخطب بورقة، ولا يتلقَّى عنه النَّاسُ إلَّا عن طريق السَّمع فقط، وحتى هذا التَّلقي ليس بذاك القوَّة كما هو الحال في الخطيب الذي يرتجل، فإنَّ صوتَه يكون أقوى وأشدَّ تفاعلًا.

وَقَدْ كَانَتْ عَادَةُ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإسْلَامِ إلى عَهْدٍ قَرِيبٍ الخطبة ارتجالًا؛ بل إنَّ بعضَ أهل العلم يجعل الخطابة بورقةٍ نوعًا مِن

(١) أي: عالي النَّبرة، قويًّا مرتفِعًا.

المعايب إلى وقت قريب، كما ذكر ذلك الشيخ علي محفوظ عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر، والمتوفى عام (١٣٦١هـ) رحمه الله تعالى.

فقد قال في كتابه: «**الإِبْدَاع فِي مَضَارِّ الابْتِدَاع**»: «بعض الخطباء لسوء حفظه يقرأ الخطبة في الورق، وبذلك يضيع أثر الخطبة في نفوس السامعين». ا.هـ[١].

«**وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيْهِ**: أنَّ الارتجالَ هو الأكملُ في الخطابة وهو أصلُها، وهو عَلامَةُ المَـلَكَةِ والقُدْرَةِ، وحاجةُ الخطيبِ في الجملة إلى الارتجال أمرٌ لا شكَّ في استحسانِه؛ إذ القدرةُ عليه مِن ألزم الصَّفات للخطيب النَّاجح، وما ذاك إلا لحاجتِه أحيانًا إلى البديهة الحاضرة، والخاطر السَّريع، الذي يفرضُه عليه واقعُ الأمرِ فيما لم يكنْ قد أعدَّ له مِن قبل»[٢].

وَمِنَ المَعْلُومِ: أنَّ مِن أهمِّ خصائص ومميزات الخطابة في الجاهلية: «قوةَ البديهة العربية، والقدرةَ البليغة على الارتجال.

وَأَوَّلُ مَا تَلْقَاهُ فِي المَأْثُورِ مِن الخُطَبِ العَرَبِيَّة: أنك لا تجد الخُطَب قد لُوحظ فيها حسن الافتتاح، وتنسيق الموضوع وتجزئته، ثُمَّ حُسن اختتامه؛ فإنّ ذلك شأن الخطيب الذي يُحَبِّر خطبته، ويزوِّر كلامه ويهيئه ويعده، ولم يكن أكثر خطباء الجاهلية كذلك؛ بل كانوا يرتجلون الكلام ارتجالًا؛ لذلك لم تكن خطبهم منسقة مجزأة؛ بل كانت في الجملة غير متماسكة لعدم تماسك معانيها.

وَأَسْلُوبُهُمْ الكَلامِي: لا تَكَلُّفَ فِيه، ولا صِنَاعَة؛ لِعَدَمِ عِنَايتِهِمْ بِتَهيئةِ القَولِ، وَلِذَلِكَ خَلا مِنْ كُلِّ المُحَسِّناتِ اللَّفْظيَّةِ؛ كَالجِنَاسِ والتَوْرِيَةِ؛ وَمَا

---

(١) «الإبداع في مضار الابتداع» (١٧٧).

(٢) «الشامل في فقه الخطيب والخطبةِ»، للشيخ سعود الشريم ـ حفظه الله ـ (٨٣).

إِلَى ذَلِكَ مِمَّا نَصَّ عَلَيهِ فِي عِلْمِ البَدِيعِ، وكَانُوا ـ أحيانًا ـ يَسْجَعُونَ في خُطَبِهِمْ»[(١)].

وهكذا الحَالُ في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فكانت خطبهم ارتجالًا، «ولم يعمدوا إلى كتابة خطبهم، ولم يعمدْ النَّاسُ إلى كتابتِها لعدم اعْتِيَادِهم ذلك»[(٢)].

حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: «لا يُعَدُّ الخَطيب خطيبًا إلا إذا كان قادرًا على الارتجال، وقد يخطب فيعترض عليه بعض الناس في خطبته، فإن لم تكن له بديهة حاضرة تَرُدّ الاعتراض وتُقَرِّعه بالحجة القوية، ذهبت الخطبة وآثارها»[(٣)].

وَالَّذِي يُلْقِي الخُطَبَ ارْتِجَالًا: يجدُ فيها مِن اللَّذَّةِ والحمَاسِ ما لا يجدُه في غيْرِها؛ وذلك لكثرة المستمعين المنصتين، الذين قدموا مِن كلِّ حدب وصوب لاستماع مواعظِه وتوجيهاتِه، وهذا مِن أعظم ما ينشدُه العلماءُ وطلابُ العلْمِ والدُّعاةُ إلى الله.

وَمِن الفَوَائِدِ الَّتِي يَجِدُهَا الخَطِيبُ فِي ارْتِجَالِ الخَطَابَة:

أوَّلًا: الشَّوقُ لِيومِ الجُمُعَةِ لِإلقَاءِ الخُطْبَة، وسيتوق للجمعة القادمة فور انتهائه من خطبته؛ وذلك لأنه لا يتكلف في إعدادها وإلقائها، ولأنَّه يشعرُ بأنَّ كلامَه يصلُ إلى قلوبِ الكثير مِن المستمعين، حيثُ يرى وجوهَهم تتجه صوبَه، وقسماتِ وجوهِهم تتأثرُ عند بعْضِ مواعظِه، وهذا ما يجعلُه يحبُّ لقاءَهم والحديثَ إليهم.

---

(١) «الخطابة»، إعداد: جامعة المدينة العالمية (١٣٥ ـ ١٣٧).
(٢) «المصدر السابق» (١٦٢).
(٣) «الخطابة الإسلامية»، لعبد العاطي عبد المقصود (٢٤).

ثَانِيًا: الطَّلاقَةُ فِي الإلقَاءِ، ومَن اعتادَ الخطابةَ ارتجالًا سهُل عليه ـ بعون اللهِ وتوفيقه ـ استحضار الكلمات والعبارات المنمّقة، وتواردت عليه الجملُ بلا تكلّفٍ في جلبِها، وهذا مِن أعظم أسرار ما نراه من طلاقةِ وفصاحةِ وقوةِ بيانِ بعْضِ الخطباء، حيثُ يخطبونَ ويتكلمونَ مُدَّةً طويلةً بلا ورقةٍ بكلامٍ فصيحٍ بليغ؛ بلا تردُّدٍ ولا تلعثم.

وَلَمْ يَحْصَلُوا عَلَى ذَلِكَ: بكثرةِ محفوظاتِهم من الشِّعر والعلْم، ولا لِكثرة قراءتِهم وغزارةِ ثقافاتِهم، فهناك أمثالهم مِمَّن قرؤوا وحَفِظوا، ومع ذلك لا يستطيعون الكلام بطلاقة، ويجدون غاية الحرج والتَّكلُّف والصعوبة حينما يُلْجؤون إلى التَّحدُّث أمامَ الناس.

وَكَثِيرًا مَا يَجِدُ بعضُ طلاب العلم والمشايخُ القلقَ إذا دُعوا لإلقاء كلمة أو محاضرة خاصة أمامَ جموعٍ غفيرة، **وَيَزْدَادُ القَلَقُ والتَّوَتُّرُ**: إذا كان ذلك بشكل مفاجئ، ولو أنَّهم اعتادوا الخطابة بلا ورقة، وأكثروا من إلقاء الكلمات والخطب ارتجالًا لَمَا وجدوا أيَّ قلَقٍ وتوتر.

ولَمْ أكُنْ أتَخَيَّلُ يَوْمًا أني سأصل إلى مرحلة ارتجال الخطابة بطلاقةٍ ورِبَاطَةِ جَأشٍ[(١)] ودون توتر ووَجل، وإذا رأيتُ مَن يخطب هكذا اعتقدتُ أنّ هذه موهبة وهبها الله له منذ الصِّغر، وحينما أكسبني الله تعالى هذه القدرة ـ بفضلِه وكرمِه ثم بالتَّدرب ـ علمتُ بل أيقنتُ: أنّها تُكتسب كغيْرِها مِن الصِّفات والأخلاق والقُدرات.

ثَالِثًا: القُدْرَةُ عَلَى إلقَاءِ الكَلِمَاتِ، وَالخُطَبِ الَّتِي تَأْتِي فَجْأَةً دُونَ سَابِقِ إعْدَادٍ؛ لأنَّ الخطيب والداعي إلى اللهِ مع كثرة الإلقاء بلا ورقة،

(١) **رِبَاطَة جَأشٍ**: أي: هدوء النفس، وثبات القلب، وسيطرة المرء التامة على قواه العقلية، أو قدراته الحسية، أو مشاعره، أو سلوكه وتصرفاته.

وكثرة حفظ الأدلة والشواهد الشعرية ونحوها: يكتسب ملكةً ومخزونًا علميًّا ولغويًّا، فلا يجد أيَّ مشقةٍ وصعوبة في الإلقاء متى شاء، وفي أيِّ وقتٍ شاء.

رَابِعًا: **سُهُولَةُ إِعْدَادِ الخُطَبِ وَالكَلِمَاتِ**، وكتابةُ الخطبة من أشق الأمور؛ لأنَّ الخطيب كثيرًا ما يحتار في اختيار الأدلة والعبارات والكلمات، ويدقق ويُعيد فيها النَّظر.

أَمَّا الَّذِي يَرْتَجِلُ الخُطْبَةَ: فإنَّه مع طول المران وكثرة التجارب: تتوارد عليه الكلمات والعبارات المناسبة أثناء الخطبة، والتي قد تكون لم تخطرْ على بالِه، ويرى أنَّها أحسنُ مِمَّا لو استعد وكتبها، وذلك راجعٌ إلى توفيق الله تعالى له، ثم إلى تمكنِّه العلميِّ وكثرةِ مُدارستِه لِمَا اكتسبه.

خَامِسًا: **الاسْتِمْتَاعُ العَجِيبُ أَثْنَاءَ الإِلقَاءِ**، حيث يشعر أنّ المواعظ والنصائح تخرج من قلبه، وتقع في قلوب المستمعين، حيث يراهم ينصتون إليه بحماس، ويتفاعلون مع ما يطرحه عبر هزّ رؤوسهم، أو قسمات وجوههم، وهذا مما يزيد في حماسه وتفاعله أثناء الخطبة، وهو أمرٌ لا يجده الذي يخطب بورقة غالبًا.

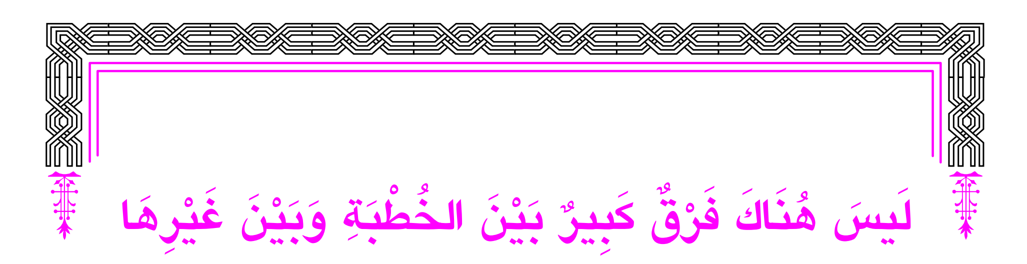
سَادَسًا: **تَنْمِيةُ مَلَكَةِ الحِفْظِ وَالذَّاكِرَةِ**، فَمِمَّا لا رَيْبَ فِيهِ أنَّ مَن يخطب بلا ورقة، ويُعدّ إعداد جيّدًا للخطب: سيمرن ذاكرتَه بشكل مستمر، وفي الأسبوع مرةً على الأقل، وسينشط حافظتَه وذهنَه، مما يكون له الأثرُ الكبير في تقوية هذه الملكة وتنميتِها.

وَلا أَقُولُ هَذَا ادِّعَاءً وَلَا نَقْلًا عَنْ غَيْرِي؛ بل أقول ذلك عن تجربةٍ، فقد كنتُ في السابق إذا رأيتُ بعضَ الخطباء يخطب ارتجالًا بلا ورقة أتعجب منه، **وَأَقُولُ فِي نَفْسِي**: كيف استطاع ضبط المعلومات

واستحضارها وترتيبها، ومواجهة الجموع الغفيرة من النَّاس، الذي قد يُسبِّبُ الإرباك، وينسى ما كان قد أعدّه؟

وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بِالارْتِجَالِ ـ بعد الخُطُوات التي أمضيتُها في سبيل الحصول على ذلك ـ هانَ عليّ الأمرُ، وعرفتُ السَّبب، وأصبحتُ ـ بحمدِ الله ـ أستحضرُ ما أريدُ إلقاءَه ولو لم أعدّ إلا أعدادًا يسيرًا، وإذا رسمتُ في عقلي أركانَ الخُطْبة وفروعَها وكتبتُها قبل إلقائِها: ألقيتُها في الخطبة وكأنِّي أراها، وهذا ليس خاصًّا بي؛ بل كلّ مَن يتحدث أو يخطب ارتجالًا حصل له ذلك وأكثرُ.

۞ ۞ ۞



لَيسَ هُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الخُطْبَةِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا

كَثِيرٌ مِن الخُطَبَاءِ يمتلكون قدرةً في إلقاءِ الكلمات أو المحاضرات أو الدروس المؤثرة النَّافعةِ بفصاحةٍ وبيان، وبلا تلعثُمٍ ولا وخوفٍ، ولكنَّهم لا يستطيعون أنْ يخطبوا ارتجالًا!

فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ الخُطْبَةِ وَغَيْرِهَا؟

إنِّي لا أجِدُ فَرْقًا كَبِيرًا فِي الحَقِيقَةِ وَالوَاقِعِ، لكن حينما اعتادَ النَّاسُ في بعْضِ البلاد أنْ يخطبوا بورقة، ولم يشاهدوا خطيبًا إلا معه أوَرَاقُه: وقع في نفوسِهم أنَّ لخطب الجمعة خاصيَّةً وميزةً تختلف عن غيرِها.

ولو ألقى أحدُ العلماء أو الدُّعاة إلى الله كلمةً أو محاضرةً بورقةٍ كما يفعل خطيبُ الجمعة لكان أمرًا مستغربًا وغير مستساغ، **فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ إلقَاءِ كَلِمَةٍ وَمَحَاضَرَةٍ بِوَرَقَةٍ وَبَيْنَ إلقاءِ خُطْبَةِ الجُمُعَةِ بِوَرَقَةٍ؟**

لا فَرْقَ أبَدًا، وإنما اعتادَ النَّاسُ في بعض المجتمعات أن يلقي خطباءُ الجمعة خطبَهم بورقة فألفوا ذلك، وربما لو خطب ارتجالًا لاستغربوا ذلك واستنكروه.

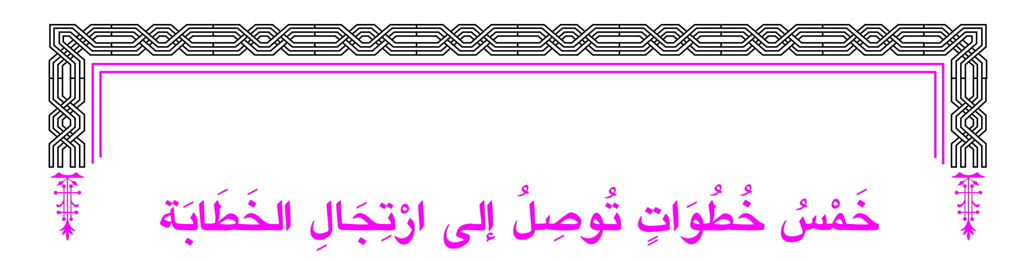
وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: الفرق هو هيبة هذه الشعيرة.

والواقع أنّ الهيبة ليست لذاتِها؛ بل لما في اجتماع النَّاس، وكثرتهم، وإنصاتهم، وهذه الحالة جعلتْ الكثير من الخطباء يشعرون بتميّز خاصٍّ لهذه الشعيرة، ومزيد رهبة وهيبة.

ولو قِيلَ لِرَجُلٍ: ستخطب في قرية نائية في جامع صغير، ولا يتجاوز الحضور عشرين رجلًا، فإنه لن يجد الهيبة ـ بلا شك ـ كما يجدُها إذا خطب في جامع كبير يمتلئ بالنَّاس.

وَكَثِيرٌ مِمَّن اعْتَادَ الخَطَابَة ارْتِجَالًا: لا يجدون فرقًا بين خطبة الجمعة وبين غيرها، وقد سمعتُ ذلك مِن غير واحد، وذكروا أنه لا فرق عندهم بين الخطبة وغيرها، ويجدون الانشراح وعدم التكلّف في الخطبة وفي غيرها على حدٍّ سواء.





خَمْسُ خُطُوَاتٍ تُوصِلُ إلى ارْتِجَالِ الخَطَابَة

إنَّ كلَّ مَنْ رَامَ الوصُولَ إلى هَدَفٍ مَا، فَلا بُدَّ لَهُ مِن اتِّخَاذِ الخُطُوَاتِ التَّاليةِ عَلَى التَّرْتِيبِ:

الخُطْوة الأولَى: القناعة التَّامة بالهدف.

الخُطْوة الثَّانية: القناعة التَّامة بحاجته الماسّة له.

الخُطْوة الثَّالثة: التَّفكير الجادّ بالخطوات العملية لتحقيقه.

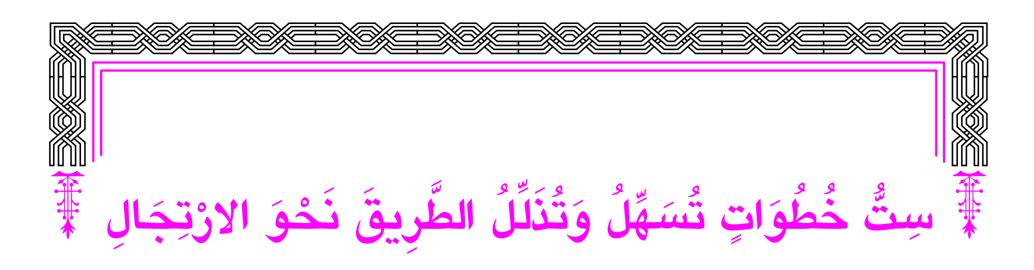
الخُطْوة الرَّابعة: البدء بلا تردُّدٍ ولا تأخر في تنفيذ الخطُوات.

الخُطْوة الخَامسة: الصبر على العوائق والمنغِّصات التي لا ينفك عنها أحد.

فلا بدّ لمن أراد ارتجال الخطابة من القيام بهذه الخطوات كلّها.

فمَن لم يقتنع بارتجال الخطابة، أو اقتنع ولكنَّه لا يرى حاجته للارتجال، أو اقتنع بحاجته للارتجال لكنَّه لم يفكر في اتخاذ الخطوات العملية لتحقيقه، أو فكر وأعدّ الخطوات ولكنه تردد وماطل وسوَّف في تنفيذ الخُطوات، أو عزم وبادر ولكنه لم يصبر على العوائق والمنغِّصات التي واجهته: فإنه لن يرتجل الخطابة، ولو ارتجلها فإنه لن يستمر، ولو استمر فإنَّه لن يستمتع بها.





سِتُّ خُطُوَاتٍ تُسَهِّلُ وَتُذَلِّلُ الطَّرِيقَ نَحْوَ الارْتِجَالِ

هُنَاكَ سِتُّ خُطُوَاتٍ تُسَهِّلُ وَتُذَلِّلُ الطَّرِيقَ نَحْوَ الارْتِجَالِ لِمَن اقْتَنَعَ بِهِ وَبِحَاجَتِهِ لَهُ، وَمَنْ قَامَ بِهَا أَتَمَّ القِيَامِ فَإِنَّهُ سَيأْتِي عَلَيهِ يَوْمٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ يَسْتَطِيعُ ارْتِجَالَ الخُطَبِ وَغَيْرِهَا بِلا أَدْنَى قَلَقٍ وَتَوَتُّرٍ وَهَمٍّ، وَهِيَ:

أَوَّلًا: الدعاء الصَّادقِ في الإعانةِ على ذلك، واللجأ إلى الله تعالى بإخلاص وتضرّع.

ثَانيًا: صدْق التوكُّلِ على الله تعالى في ذلك، وحسن الاعتماد عليه، والله عند ظنّ عبدِه به، ومن توكلّ عليه فهو حسبُه وكافيه ما يُهمه ويطلبُه.

ثَالثًا: سماع الخطباءِ المرتجلين المتميّزين والاستفادة من تجاربهم؛ «لأنَّ فكر البشر يتغذى بالتقليد والمحاكاة»[1]. **وَقَدْ قَالَ الحُكَمَاءُ:** «مَن لا تجربة له: يقتبس مِمَّن له تجربة»[2].

رَابعًا: ارتجال الخطبةِ على انفراد، ولو كان في المسجد عبر مكبر الصوت الداخليّ فهو أفضل، وإذا كان على المنبر فهو أفضل بكثير.

خَامسًا: ارتجال الكلام من وقت لآخر أمام الآخرين، بعد الإعداد والتحضير الذهني، عبر إلقاء الكلمات في المساجد، ومجامع الناس في

(١) «الخطابة»، لأبي زهرة (١٤٤).
(٢) «الإمتاع والمؤانسة»، لأبي حيان التوحيدي (٥٢٤).

مجالسهم عندما يكون الأمر مناسبًا؛ ليفكَ عقدةَ لسانِه ويزيلَ حُبسةَ الحياء.

«فإذا دأب على ذلك واتَتْهُ فطرة قوية واستعداد قويم على القول على البديهة، من غير تحضير عند الاقتضاء»[(١)].

سَادسًا: التَّدرّب على إظهار المشاعر وتقوية العاطفة.

وَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي أَعْظَمِ أَسرَارِ النَّاجِحِينَ فِي الخَطَابَةِ وَالإلقَاءِ والتَّأْثِيرِ: فوجدتُ السرَّ والسببَ في ذلك قُوَّةَ العَاطِفَةِ التي عندهم، وقدرتهم على إظهار مشاعرهم بالتفصيل لا بالإجمال.

فَإنَّ قُوَّةَ العَاطِفَة: تَدْفَعُ ذا البيانِ إلى تبيانِها، وتَدْفَعُ ذا الحكمة إلى إبدائها، فتجذبُ القلوب بسحرِها، وَتَأسُرُ العقولَ بجمالِها وبراعتِها، وضعيفُ العاطفة يموتُ كثيرٌ مِن علمِه بموتِ عاطفتِه، وَيَتَلَاشَى تأثيرُه على النَّاس بموتِ مشاعِرِه.

«**فَيَجِبُ عَلَى الخَطِيبِ:** أنْ يمتلئَ حماسةً فيما يدعو إليه، واعتقادًا بصدقِه؛ لأنَّ ما يخرج مِن القلب يدخل إلى القلب، فلا بُدَّ أن تكون حماسة الخطيب أقوى مِن حماسةِ سامعيه؛ ليفيض عليهم، ويروي غُلَّتَهُمْ، وإلا أحسوا بفتور نفسِه، فضاع أثرُ قولِه»[(٢)].

وَلا بُدَّ مِنْ طُولِ الدُّرْبَةِ فِي ذَلِك، عَبْر كِتَابَةِ الخَوَاطِرِ وَالمَشَاعِرِ، وَالتَّحَدُّثِ بِهَا لِوَحْدِك، ثُمَّ بالإِفْصَاحِ بِهَا لِمُحِبٍّ.

وَالمَشَاعِرُ كُلَّمَا حُبِسَتْ وَأُسِرَتْ جَفَّتْ وَنَضَبَتْ، وَكُلَّمَا كَانَتْ حُرَّةً ـ

---

(١) «الخطابة»، إعداد: جامعة المدينة العالمية (٤٣).

(٢) «الخطابة الإسلامية» (١٦).

بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ وفْقَ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ ـ تَفَجَّرَتْ وَسَالَتْ، فَأَسْقَتْ الأورَاقَ كِتَابَةً وَتَصْنِيفًا، وَالمَنَابِرَ خَطَابَةً وَبيَانًا، وَالنَّاسَ مَحبَةً وَحَنَانًا.

فَأَطْلِقْ ـ أخِي الخَطِيب ـ لِمَشَاعِرِكَ وَعَوَاطِفِكَ العَنَانَ؛ لِتَدِبَّ فِيكَ وَفِي غَيْرِكَ الحَيَاةُ وَالإبْدَاعُ وَالنَّهْضَةُ وَالنُّمُوُّ وَالرَّحْمَة.

فمَنْ كَرُمَتْ مَشَاعِرُهُ: نَبُلَتْ أخْلاقُه، وَشَرُفَتْ نَفْسُه، وَكَثُرَ أحْبَابُه، وَقَلَّ أعْدَاؤُه، وَظَهَرَتْ حُجَّتُه، وَقَويتْ بَلاغَتُه، وَعَظُمَتْ فَصَاحَتُه.

«والخطابةُ لا يُحكِم صُنعَها إلا من يأخذ بها خاطِرَه يومًا فيومًا، ويُروِّضُ عليها لسانَه في هذا المَجْمَعِ مَرَّةً، وفي ذلك المَجْمَعِ مَرَّةً أخرى.

نقرأ في كتب الأدب ما يدلُّنا على أنَّ العربَ كانوا يأخذون أنفسَهم بالتدرُّب على الخطابة حتى تلين لهم قناتُها، نجدهم حين يتحدثون عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ يَقُولُونَ: إنَّهُ كَانَ لا يَتَكَلَّمُ إلَّا اعْتَرَتْهُ حُبْسَةٌ فِي مَنْطِقِه، فَلَمْ يَزَلْ يَتَشَادَقُ وَيُعَالِجُ إخْرَاجَ الكَلامِ حَتَّى مَالَ شِدْقُه، وَمِنْ أجْلِ هَذَا دُعِيَ بالأَشْدَقِ، وَإيَّاهُ يَعْنِي الشَّاعِر الَّذِي يَقُولُ:

تَشَدَّقَ حَتَّى مَالَ بِالقَوْلِ شِدْقُهُ ... وَكُلُّ خَطِيبٍ لا أبَا لَكَ أَشْدَقُ»[(١)]

ومِن اللطائفِ الجَميلةِ ما ذكرَه أبو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أنَّه قال:

«حُكِيَ لِي عَنْ بَعْضِ المَشَايِخِ أَنَّهُ قَالَ:

رَأيتُ فِي بَعْضِ قُرَى النَّبْطِ[(٢)] فتىً فَصِيحَ اللَّهْجَة، حَسَنَ البَيَان،

---

(١) «البيان والتبيين»، للجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، ١٩٦٨م (ص٧٩).

(٢) **مِن الأنْبَاطِ**: وهم فلاحو العجم.

فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ فَصَاحَتِهِ مَعَ لُكْنَةِ[١] أهْلِ جِلْدَتِهِ[٢]، فَقَالَ:

كُنْتُ أعْمَدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ إلَى خَمْسِيْنَ وَرَقَةً مِنْ كُتُبِ الجَاحِظِ، فَأرْفَعُ بِهَا صَوْتِي فِي قِرَاءَتِهَا، فَمَا مَرَّ بِي إلَّا زَمَانٌ قَصِيرٌ حَتَّى صِرْتُ إلَى مَا تَرَى»[٣].

قال أبُو عَبْدِ اللهِ فَيصَلُ الحَاشِديُّ معلِّقًا عليه في كتابه: «تُحْفَة الخَطِيبِ»[٤]:

«لَو عَمِدَ كُلَّ يَوْمٍ إلَى عَشْرِ صَفَحَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ ـ لَكَانَ مِنْ أفْصَحِ العَرَبِ!».

وَالخَطَابَةُ كَسَائِرِ الصِّنَاعَات، يتفاوت النَّاسُ في إتقانِها والأخذ بزمامِها؛ فمنهم مَنْ يمتلكها في أَمَدٍ قريبٍ، ومنهم مَنْ يحتاج إلى أن يصرف في مزاولتها زمنًا بعيدًا.

وَقَدْ كَانَ أهْلُ الأدَبِ يَقُولُونَ[٥]: إنَّهم لم يروا قطُّ خطيبًا بلديًّا إلا وهو في أول تكلُّفِه للخطابة مُستثقَلًا، إلى أن يَتوقَّحَ[٦] وتستجيبَ له المعاني، ويتمكَّنَ من الألفاظ.

وإذا كانت الخطابةُ صناعةً تتعاصَى على طُلابها إلا أن يأتوها عن طريق الدُّرْبَة والممارسة، فمن اللائق برجالٍ يتقلَّدون في هذه الأمة أَمْرَ التعليم، أن يفرِضُوا لها من أوقات الدراسة نصيبًا كافيًا، حتى تُخرِجَ لنا هذه المعاهدُ

---

(١) أي: في لسانِه عُجْمَة.
(٢) أي: مِن أهل قريته وعشيرته.
(٣) «الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه»، تحقيق: د. مروان قباني (ص٧٠).
(٤) (ص٩).
(٥) «البيان والتبيين»، للجاحظ (ص٧٤).
(٦) أي: يكون صُلْبًا قَوِيًّا، وذلك: بالدُّربة والممارسة والترويض.

والمدارسُ خطباءَ يقودون الأمَّة إلى حيث تلقى السِّيَادة والعَظَمة»[(١)].

فَمَنْ رَامَ اكْتِسَابَ مَهَارَة ارْتِجَالِ الخَطَابَةِ وَطَلاقَةِ اللِّسَانِ: فعليه أنْ يُكثر مِن التدَرُّب والتمرُّن، «ولا شكَّ أنَّ الخطابةَ إلى ذلك أحوج، وهي به أعلق، فإنَّ لصاحبها فضلَ احتياجٍ إلى بَدَاهَة القول، وحُسْن العِبَارة، ولا يكاد ينال ذلك إلا بالتمرُّن عليها»[(٢)].

سابعًا: الانقطاعُ برهةً مِن الزَّمن لِتَقْرأ في هذا الفن، وتتدرّبَ على الإلقاء مرارًا وتكرارًا؛ فإنّ «**مَن انْقَطَعَ إلى شَيءٍ أَتْقَنَهُ**»، كما قال **الطَّنَاحيُّ** ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.اهـ[(٣)].

فإذا فعلتَ ذلك فسوف تُتْقنُ مهارةَ الإلقاء والحديث ـ بمشيئة الله وعونِه ـ وستزول عنك الرهبةُ والخوْفُ مِن مواجهة النَّاس والحديث إليهم إنْ شاء الله.

وَكَثِيرٌ مِن الأمُورِ يَرَاهَا بَعْضُ النَّاسِ صَعْبَةً وَمُعَقَّدَةً؛ كَالعِلْم، وَإلقَاءِ الكَلِمَاتِ وَالمُحَاضَرَاتِ، وَالخُطَبِ الارْتِجَالِيَّةِ، وَالتَّأْلِيف، وَالحِفْظِ، وَجَرْدِ الكُتُبِ الطَّوِيْلَةِ: لَيْست صَعْبَةً وَلا مُعَقَّدَةً في الواقع، وإنَّمَا سَبَبُ كونها صَعْبَةً ومُعَقَّدَةً في حقّهم: أَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لَهَا وَيَأْتُوهَا مِنْ أَبْوَابِهَا.

وأضْرِبْ لَكَ مِثَالًا مَحْسُوسًا لِذَلِكَ: يجد بعضُ أهلِ القرى والمدنِ الصغيرةِ صعوبةً في معرفةِ طرقِ المدن الكبيرة وأحيائِها، وكلّما دخلها خرج منها متذمرًا محبطًا، وازدادتْ قناعتُه بصعوبتِها، فإذا طلب مِن أحدِ أهل المدينة الخبير أنْ يُعطيه شيئًا من وقتِه، فيشرحُ له الطُّرُقَ وكيفيةَ

---

(١) «الخطابة عند العرب»؛ لمحمد الخضر حسين (المتوفى ١٣٧٧هـ) (١٨٧ ـ ١٨٩).

(٢) «أصول الإنشاء والخطابة»، لمحمد الطاهر بن عاشور (المتوفى١٣٩٣هـ) (ص١٥٤).

(٣) «اللغة والأدب» (١٨٢/١).

ضبطِها، ويذهب معه ويريه كيفيةَ عبورِ الدَّوَّارات الضخمة، والشوارع المتشابهة، وصبر على ذلك عدة أيام وعزم على فَهْم الطُّرقِ وضبطِها، ولم يستصعبْ ذلك: فسوف يُتقن الطُّرق ويعرف التعاملَ معها، وستزولُ عنه كراهةُ المدينة، والتَّسخُط مِنْها.

وَإن لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ: فسيظل كارهًا للمدينة، وكلما قدم إليها لحاجة خرج منها ذامًّا لها، كارهًا ـ مع شدَّة حاجتِه ـ الرجوع إليها.

وَهَكَذَا الإلقَاءُ، فإذا لم تنقطع لهذا الفنّ، وتُكثر ممارسته، ومقابلة الجمهور، وتكسر حاجز القلق والخوف من الخطأ: فسوف تظلّ متثاقلًا للإلقاء، حاملًا الهمَّ عندما يُطلب مِنْك كلمة، أو محاضرة، أو خطبة دون سابق تحضير وإعداد.

ثامنًا: طلبُ النَّصيحة بعد عدة خطب مرتجلة من **صَدُوقٍ، عَاقِلٍ، مُجَرِّبٍ، مُحِبٍّ** يدلّه على عيُوبه ليجتنبَها، وعلى محاسنِه ليثبتَ عليها، ويزدادَ مِنْها.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ يَنْبَغِي تَوَفُّرُهَا فِي النَّاصِحِ:

الأَوَّلُ: **أَنْ يَكُونَ صَدُوقًا**، فلا تَسْتنصحْ رجلًا مُجاملًا مُداهنًا، أو كذوبًا غَشُومًا؛ فالمُجَامِلُ يَخْدَعُك، والكذوبُ يَغُشُّك، فإنْ وجدْتَ ناصِحًا صَدُوقًا مَعَك، فَعُضَّ عليه بِنَواجِذِك، وإيَّاكَ أنْ تُفَرِّطَ فيه.

الثَّانِي: **أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا**، فلا تَسْتنصحْ أحمقَ قليلَ العقلِ والحكمة؛ بليدَ الذِّهْنِ ضعيفَ الفِطْنَةِ؛ لأنَّ الغالبَ عليه أنَّه لا سَدَادَ لِرَأيه، ولا شمولَ لنظْرَتِه، فَتَقصُرُ العِبَارَةُ بِعَقْلِه؛ ويتكلمُ بما يَخْطُرُ بِبَالِه، ولكنْ إنْ كانَ مُحِبًّا نَأْلَفُه ولا نَحْقِرُه، ونَبْتَسِمُ له ولا نَجْرَحُه، فرُبَّمَا نُرْزَقُ بدعوَتِه، ونُنْصَرُ بسبَبِه.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُجَرِّبًا، فلا تَسْتنصحْ مَنْ لَمْ يُجَرِّبْ؛ فالإنسانُ عدوٌّ لِمَا يَجْهَلُه، والغالبُ عليه النُّفْرَةُ مِمَّا لا يَأْلَفُه، وفاقدُ الشَّيء لا يُعْطيه، ولو سَعَى لَكَ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْه.

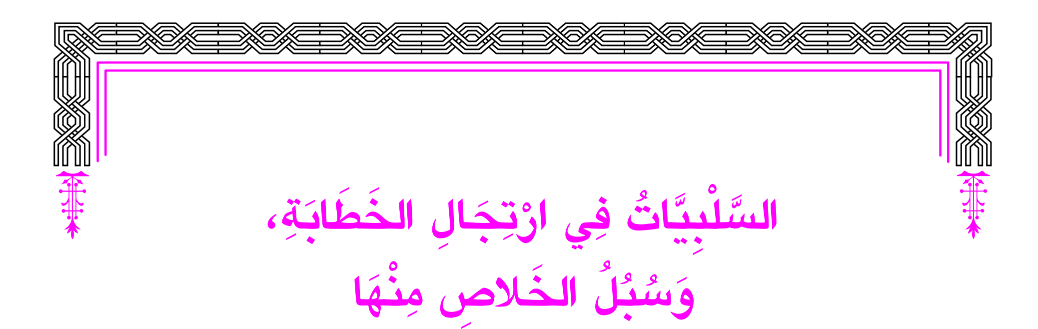
الرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا؛ فالمُبْغِضُ يسعى لِضُرِّك، والحَسُودُ يتمنَّى زوالَ نعمَتِك.

وَقَدْ ذَكَرَ **الْقُرْطُبِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنّ صِفَة الْمُسْتَشَارِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا: أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا، مُجَرِّبًا، وَادًّا فِي الْمُسْتَشِيرِ»، وَنَقَلَ عَنْ بَعْضِهِمْ قَوْلَه: «شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ غَالِيًا، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَّانًا». اهـ[(١)].

وَإِيَّاكَ أن تطلب رأيًا وملحوظات مِن أحدٍ على خطبك المرتجلة وغيرها إلَّا بعد أن تُمارس الخطَابة مرات كثيرة، فربَّما طلبتَ ذلك مِن أحدٍ وأنتَ في بدايةِ خطابتِك، وقلَّة خبرتِك وتجربتِك، فتفاجأ بكثرة ملحوظاتِه وانتقاداتِه، فتهز ثقتك بنفسِك، وربما حملتَ في خاطرِك عليه، وقلتَ: ليته عرّف بعضًا وأعرضَ عن بعض.



(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٨٢).



السَّلْبِيَّاتُ فِي ارْتِجَالِ الخَطَابَةِ، وَسُبُلُ الخَلاصِ مِنْهَا

ما يُظن مِن السلبيات في ارتجال الخطابة يُمكن تلافيها، **ومِن ذلك**:

أولًا: الوقُوعُ فِي الحَرَجِ عِنْدَ الخَطَأِ أَوْ التَّلَكُّؤِ[١]:

والخطأُ أو التَّلكُّؤُ لا يكادُ أحدٌ يخلو مِنْه، ومَن أرادَ الحصولَ على معالي الأمور دونَ عقبات فقد رامَ المستحيل، ومع كثرةِ اللجأِ إلى اللهِ ودعائِه، وطولِ المرانِ وبذلِ الوسع يُكسبكَ اللهُ تعالى الفصاحةَ وطلاقةَ اللِّسان، حتى إنه يندرُ أن تتردد أو تُخطئ.

ثانيًا: الإطَالَةُ فِي الخَطَابَة:

ويُمكن ضبط الوقتِ بوضْعِ ساعة تحسب الوقت، ومع مرور الزَّمن سوف تتعوّد على التقيّد بالوقت الذي اعتدت عليه.

ثالثًا: ضَيَاعُ الخُطَبِ؛ لأنَّها لَمْ تَكُنْ مَحْفُوظَةً مَكْتُوبَةً:

ويُمكن حفظ الخطب بالتعاقد مع بعض الأشخاص الذين يعملون في تفريغ المواد الصوتية ـ وقد سلكتُ هذه الطريقة بحمد الله ـ، وقد يكون في هذا تكلفة عليك، ولكن المال يرخص في سبيل الحصول على المقامات العالية، والغايات النَّبيلة.

---

(١) **تَلَكَّأَ**: في الأمر أو عنده؛ أي: تَوقَّفَ وتَبَاطَأَ.

واعلم أنَّ هناك الكثير مِن الخطب التي اعتنى بها أصحابُها، وطبعوها ونشروها، ولكنَّ نفعَها محدودٌ وضعيف، والغالبُ أنَّ المستفيدَ مِنْها خطيب ينقل مِنْها، أو يستفيد مِن طريقة مؤلفِها في العناوين أو الأسلوب أو نحوِ ذلك.

وإنَّ نفعَ وأثرَ خطبةٍ واحدة مِن خطيب مؤثّر ناصح، تسجّل وتُنشر أنفع بكثير مِن كثير مِن هذه الكتب، ولكلِّ أهلِ زمانٍ ما يُؤثّر فيهم، ولا يختلف اثنان بأنَّ أعظم المؤثرات في هذا الزَّمان: مواقع التواصل الاجتماعي، بما فيه من صور ومواد مرئية ومسموعة، فهذه هي التي تُؤثر في النَّاس وخاصة الشباب والفتيات، الذين عَزَفَ جلُّهم عن القراءة، واتجهوا صوبها، فقل لي بربِّكَ: ماذا سيغيّر فيهم كتاب يحتوي على خطب الجمعة؟ ومن سيقرؤه مِنْهم؟ وكيف سيصل إليهم؟

ولكن ستؤثر فيهم مادة صوتيّة مؤثرة من خطيب فصيح يدخل كلامُه قلوبَ النَّاسِ، وستؤثر فيهم مادة مرئية مؤثرة مِن خطيبٍ ارتجلَ خطبتَه بأسلوبٍ يشدُّ الحاضرينَ والمشاهدين، وهذه الموادُ تنتشرُ انتشار ضوءِ الشمس عند شروقِها.

رابعًا: ضَعْفُ الدِّقَةِ فِي تَرْتِيبِ عَنَاصِرِ الخُطْبَةِ وَتَسَلسُلِ أَفْكَارِهَا:

وهذا غيرُ مُسلّم به، **فَالخَطِيبُ البَارِعُ الخَبِيرُ**: يكون دقيقًا جدًّا في ترتيب عناصِر الخطبة، وإلقائِها بسلاسة واهتمامٍ بتسلسلِ في أفكارِها.

وَمَعَ ذَلِكَ أَقُولُ: النَّاسُ كلُّهم ـ إلا ما ندر ـ لن يحتاجوا إلى هذه الدِّقة في الترتيب والتسلسل المنطقي في عرض الخطبة؛ بل يحتاجون إلى موعظةٍ تُوقظُ قلوبَهم، وحكمةٍ تنفعهم في دينِهم أو دنياهم، ونصيحةٍ تُعْلي هِمَمهم، وفائدةٍ تصحح معلوماتِهم.

وإذا خرج النَّاسُ بعد سماعِ خطبتِكَ لن يقولوا: ما أجملَ ترتيب خطبته، وحسن تسلسلها، ولو قالوا ذلك فماذا سيؤثر ذلك عليهم في دينِهم ودنياهم؟

ولكنَّهم إذا خرجوا وجلس بعضُهم إلى بعض، **قَالَ أحدُهُمْ**: لقد ذكر الخطيبُ آية فشرحها شرحًا أثَّرَ عليَّ، **وَيَقُولُ الآخَرُ**: ذكرَ الخطيبُ قِصةً مؤثِّرةً بكيت بسببِها، **وَيَقُولُ الثَّالِثُ**: ذكرَ حديثًا لم أكنْ سمعتَه مِن قبل، **وَيَقُولُ الرَّابِعُ**: ذكرَ حكمًا شرعيًّا في تِلكَ المسألة كنتُ أجهلُه، أو كنتُ معتقدًّا خلافَ ما ذكر.

فَلِذَا، نَصِيحَتِي لَكَ ـ أخِي الخَطِيب ـ أنْ تَجْعَلَ نَفْعَ النَّاسِ أهَمَّ مَقَاصِدِك، وَنَفْعُهُمْ يَكُونُ بِحُسْنِ مَوَاعِظِك، وَسُهُولَةِ أسْلُوبِك، وَاخْتِصَارِ خُطَبِك، وَصِدْقِ لَهْجَتِك، وَلَنْ يَكُونَ بِتَكَلُّفِ السَّجْعِ، أو حَشْوِ الغَرِيب، أو المُبَالَغَةِ فِي التَّنْمِيقِ(١) وَحُسْنِ التَّرْتِيب.

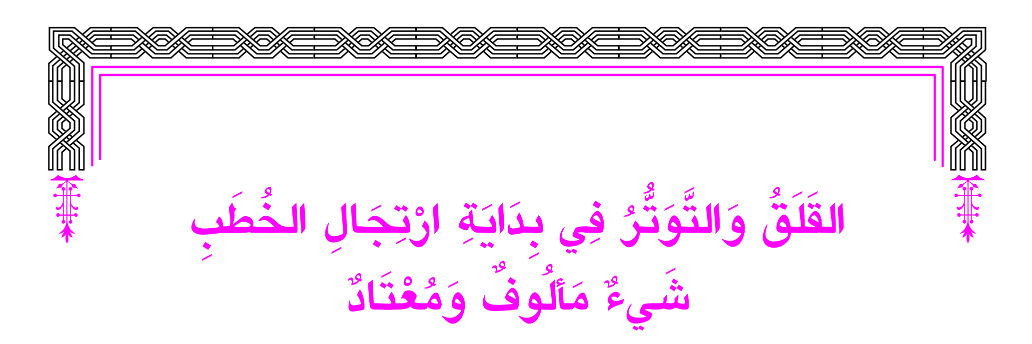
خَامِسًا: اللَّحْنُ فِي الكَلَامِ، وَالخَطَأُ فِي نَقْلِ الآثَارِ وَالآيَاتِ:

وهذا لا يسلم مِنْه أحدٌ مِن البشر، ومما لا شكَّ فيه أنَّ مِن أعظم أسباب كثرة الأخطاء واللحن: عدم تركيز الذِّهن التَّام أثناء الكلام، بسبب التوتر والخوف، الذي يسببه مقابلة النَّاس، والخوف مِن نقدِهم.

وسيخفّ هذا التوتر والخوف مع كثرة الدُّربة، واعتيادِ مقابلة النَّاس، حتى يتلاشى تمامًا بإذن الله تعالى.

والخطأ القليل ليس عيبًا، وإنَّما العيب كثرتُه، حتى يُصبح سمةً ظاهرةً عليه.

(١) **نَمَّقْتُ الكتاب تَنميقًا**: حسنته وجودته. «العين» (٥/ ١٨١)، مادة: (نمق).



القَلَقُ وَالتَّوَتُّرُ فِي بِدَايَةِ ارْتِجَالِ الخُطَبِ شَيءٌ مَألُوفٌ وَمُعْتَادٌ

ستجدُ في أوائلِ ارتجالِكَ للخُطَب قلقًا وخوفًا، وهذا شيء مِن طبيعةِ البشر كلِّهم، وربما يأتيك شعورٌ بأنّ هذا مِن آثارِ الارتجال، وأنَّكَ لن تنفكَّ مِنْه.

وَقد يَزيدُ مِنْ قَلَقِكَ: شعورك بأنّ النَّاسَ تحسّ بهذا وتكرهه مِن الخطيب، وربما كان ذلك سببًا في انفضاضِهم عنك.

وَلا شَكَّ أنَّ الشَّيْطَانَ ـ أعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ ـ هُوَ السَّبَبُ وَرَاءَ هَذَا القَلَقِ وَالتَّوَتُّرِ، فَلَو اسْتَسْلَمْتَ لَهُ لَكَانَ هَذَا مِنْ أعْظَمِ أسْبَابِ فَرَحِهِ وَزَيَادَةِ تَسَلُّطِهِ عَلَيك، وَهَذَا مِمَّا يدْفَعُكَ إلى عَدَمِ الاسْتِسْلَام لَه، وَللنَّفْسِ الأمَّارَةِ بِالسُّوءِ الرَّاكِنَةِ إلى الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَعَدَمِ تَحمُّلِ المَسْؤوليَّةِ.

فَوَاصَلِ ارْتِجَالَ الخَطَابَةِ وَمُحَارَبَةَ القَلَقِ بِكُلِّ وَسِيلَة.

وَمِمَّا لا رَيبَ فِيهِ: أنَّك مع كثرة تعلّقك بالله وتوكلك عليه ودعائك الصَّادق، وطول الممارسة: سيزول الخوف تمامًا، إلى أنْ تصل إلى مرحلة الاستمتاع في الخطبة، وترقُّبِ يوم الجمعة لتذوق لذَّة الخطابة.

فَمَا هَوَ إلَّا الصَّبْرُ حَتَّى تُفْتَحَ لِلْمَرْءِ كُنُوزُ التَّوفِيقِ وَألطَافُ الكَرِيمِ الوَهَّابِ سُبْحَانَه.

«فَتَحَمُّلُ ضِيقِ الجَدِّ فِي البِدَايَات، لِتَحْصَلَ عَلَى فَضَاءِ النَّعِيمِ وَالمَكَانَةِ وَالسَّعَادَةِ فِي النِّهَايَات.

إِذَا مَا عَلا الـمَـرْءُ رَامَ الـعُـلا وَيَـقْـنَـعُ بِـالـدُّونِ مَـنَ كَـانَ دُونَـا

وَقُلْ فِي نَفْسِكَ: مَا بَعْدَ الضَّيْقِ إِلَّا الفَرَج، وَزَوَالُ الحَرَج، وَمَا بَعْدَ التَّعَبِ إِلَّا الرَّاحَة، وَإِنَّمَا هُوَ صَبْرُ سَاعَة، فَاصْبِرْ وَصَابِرْ، لِتَعْلُوَ المَنَابِر، وَتَصْدَعَ بِالدَّعْوَةِ بَيْنَ كُلِّ وَارِدٍ وَصَادِر، وَصَدَقَ اللهُ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَ **قَتَادَةُ** رَحِمَهُ اللهُ: «**يَا بْنَ آدَمَ، إِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ الْخَيْرَ إِلَّا عَنْ نَشَاطٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ مَائِلَةٌ إِلَى السَّآمَةِ وَالفُتُورِ وَالمَلَلِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ هُوَ المُتَحَامِلُ، وَالمُؤْمِنُ هُوَ المُتَقَوِّي، وَالمُؤْمِنُ هُوَ الْمُتَشَدِّدُ**»[(١)].

ولأجل ذلك ذُكر الصبرُ في القرآن في نحو تسعين موضعًا، أمرًا أو ثناء على أهلِه، أو جزاءً لهم.

ولِكي نعلم أهمّية الصبر وضرورته لصلاح أمر الدين والدُّنيا: تأمل كيف تكررت كلمة الصبر في قصة موسى عليه السلام مع قومِه:

قال قوم موسى لفرعون حين هدّدهم بالقتل: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ثم قال موسى لِقَوْمِهِ مُثبّتًا لهم: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ثم قال اللهُ تعالى مادحًا لهم ومُبيّنًا سبب علوّهم وتمكينهم في

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٥١)، وأثر قتادة رحمه الله، أخرجه: أبو القاسم ابن بشْران البغدادي (المتوفى ٤٣٠هـ)، في: «أماليه» (١٤٥٤).

الأرض: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

فَفِي هَذَا أوْضَحُ دَليلٍ عَلَى: أنَّ نَجاحَ الإنْسَانِ وَفَلاحَهُ وَبُلُوغَهُ أعْلَى المَرَاتِبِ: مَوْقُوفٌ عَلَى صَبْرِهِ عَلَى الأمْرِ النَّافِعِ الذي يَطْلُبُه.

وَمَنْ رَامَ العُلا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ... أضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ

وقد جاء الوعد الصادق أنَّ النصرَ مع الصبر، وثبت بتجارب الأبطال: أنّ الظّفر بالنّصر صبرُ ساعة.

وكذلك الرسوخُ في العلم صبرُ ساعة.

والانتصار على النفس والشيطان صبر ساعة.

والثباتُ عند الصدمة الأولى صبر ساعة.

وكسب الصفات الحسنة من الحلم والكرم والإيثارِ صبر ساعة.

والقدرةُ على ارتجال الخطب ومواجهة الجماهير الغفيرة برباطة جأش وإقدام صبر ساعة.

وصدق القائل:

إنِّي رَأيتُ وَفِي الأيامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلْصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأثَرِ

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أمْرٍ يُحَاوِلُهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ»[١]

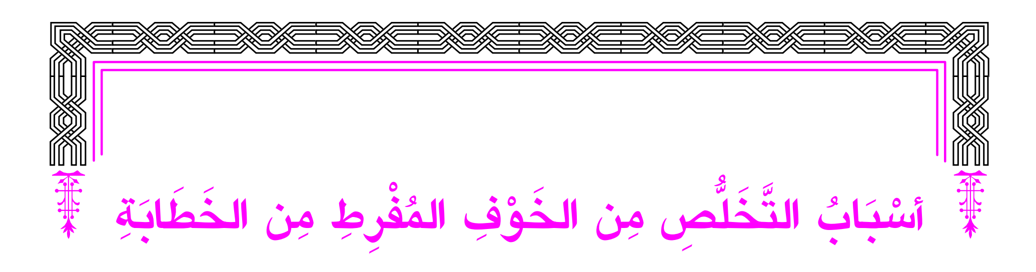
وَاعْلَمْ أنَّ «تلقي الأمر بالحزم والشهامة أولى من استدباره بالحسرة والندامة»[٢] فتلقيك معالي الأمور، وفضائل الأعمال بحزم وشجاعة

(١) «**عِبَاراتٌ أَثَّرَتْ عليّ وَغَيَّرَتْ فِي حَيَاتِي**»، للمؤلف (٦١، ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) «الإمتاع والمؤانسة»، لأبي حيان التوحيدي (٥٢٤).

وصبر أولى من الإعراض عنها؛ بسبب قلة الصبر وعدم احتمال المشاقّ، فإنّ الإعراض عنها من أعظم أسباب الحسرة والندم على فوات أسباب الشرف والسؤدد والرفعة في الدنيا والآخرة.





أسْبَابُ التَّخَلُّصِ مِن الخَوْفِ المُفْرِطِ مِن الخَطابَةِ

الخَوْفُ ـ لا سِيَّمَا فِي البِدَايَةِ ـ: أمرٌ مألوف ومُعتاد جدًّا كما تقدّم؛ بل هو إيجابيّ يُساعد على العناية بالخطبة والإعداد لها، ويكبح جماح النَّفْس في الإفراط في الثقة بها، مما يؤدّي إلى الاستهانة بالنَّاس، وعدم العناية بجودة المادة العلمية، وانتقاء الألفاظ والمعاني المناسبة؛ لأنَّ مَنْ تكلَّم عن احتراسٍ وعدمِ أمْنٍ مِن انتقادِ سامعيه: حَاطَ لِنَفْسِه من الغَلَط؛ «إذ ليس يخلو من سامعٍ يدافع عن هواه، أو عدوٍّ يترصَّدُ سَقَطات الخطيب ليُري الحاضرين أنه ليس على حقٍّ فيما قال، فشِدَّة الثِّقَةِ بالنَّفْس تُغَطِّي على عَوارِها فلا يَتَّقِيه ربُّها»[١].

لكنّ اسْتمرار الخوف في كلّ خطبةٍ ولمدّةٍ طويلةٍ أمرٌ سلبيٌّ ـ وهو ما يُسمّى في العصر الحديث بالإرهاب الاجْتماعيّ ـ: **يَنْبَغِي اتِّخَاذُ الأسْبَابِ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهُ**، ومِنْها:

أولًا: الإخلاص لله تعالى، والالْتجاء إلى الله تعالى، وكثرةُ الدعاء بأن يرزقك الطمأنينة وينزل على قلبك السكينة.

ثانيًا: شرب بعض الأشربة المهدّئة قبل الخطبة؛ كالنعناع ونحوه، فله أثرٌ في تسكين القلق والخوف.

ثالثًا: توطين النفس على سماع النقد، والفرح بذلك؛ ليكون سُلّمًا للتقدّم والإبداع، وعدم الخوف من الخطأ.

---

(١) «أصول الإنشاء والخطابة»، لابن عاشور (ص١٣٥).

رَابِعًا: الحضور مُبكرًا، فلا شك أنّ الخطيب الذي يأتي مُسرعًا ليتدارك الوقت سيثور نفسُه، ويضطرب فُؤاده، وينتابُه قلقٌ وتوتُّرٌ يدوم معه حتى أثناء الخطبة.

خَامِسًا: ارفعْ رأسَكَ لتشاهد النَّاس، وتتحدث أحيانًا ارتجالًا، ولو رأيتَ صعوبةً في البداية، وأخطاءً وتردّدًا، فاستمرارك على عدم الخروج عمّا في الورقة، وعدم النظر للجمهور بجرأةٍ يُفقد السامعين الحماس لكلامك، ويجعلك تستمر على الخوف والوجل من المنبر.

وَقَدْ صَرَّحَ بعضُ الخطباء الذين لهم سنوات في الخطابة، ولكنهم لا يخرجون عمّا في الورقة ولا ينظرون للجمهور، بأنهم يجدون الخوف والقلق عند كلّ خطبة؛ بل ويقول: إنني في كلّ خطبةٍ كأنني لِأَول مرّةٍ أخطب، من الهمّ والوجل!

ولكن لا تنظر إلى وجوه النَّاس في بدايات خطبك، فقد تقع عينك على من تهابُه فترتبك، وقد يهولك نظر النَّاس إليك؛ بل انظر إلى رؤوسِهم، دونَ التركيز على أعيانِهم وعيُونِهم.

سَادِسًا: لا تفكر أثناء صعودك للمنبر بما قد يحدث مِن سلبيات أو أخطاء؛ بل فكر بالنتائج الإيجابية المتوقّعة بإذن الله، والمنافع الكبيرة التي ستجنيها من خطبتك، مِن نفع الناس، وتوفيق الله لك بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والمنهي عن المنكر، والدعوة إليه.

سَابِعًا: قم بالتَّنفّس الصحيح قبل الخطبة، وهو أنْ تأخذ نفسًا بصورة عميقة عبر الأنف، ليدخل الهواء للبطن، بحيث ينتفخ البطن لا الصدر، ثم تحبسُ الهواء للحظات قصيرة، ثم تخرجه ببطء، وهذا التنفّس له الأثر البالغ في إزالة التوتر؛ وقد ذكر أهل الاختصاص والطب

أنّ التنفس العادي يضخ من سبعة إلى عشرةِ لترات من الأوكسجين إلى الدماغ، بينما يضخ في حالات التنفس الصحيحة نحو خمسةٍ وسبعين لترًا من الأوكسجين، ويؤدي هذا إلى تخفيف مستويات هرمونات القلق والتوتر، ولقد جربتُ هذا في القديم، فوجدتُ له الأثر الكبير في إزالة التوتر والهمّ والقلق.

وأمَّا **أثْنَاء الخُطْبَة** فحاول أنْ تأخذ النفس العميق بصورة لا تلفت نظر الحاضرين، وذلك بأخذِه سريعًا وبكمية كبيرة عبر الفم أو الأنف عند الوقوف المناسب، ثم تنطلق بعد هذا النفس لإكمال الكلام، وهكذا افعل في كلّ وقف تقريبًا.

ثامنًا: قراءةُ آيات السكينة، حيث ذكرها الله تعالى في كتابه، وهي آياتٌ عُلم بالتجربة أنّ مَن كان خائفًا فقالها أمِنْ، ومن كان قلقًا اطمأنّ وسكَن.

«**وَأَصْلُ السَّكِينَةِ**: هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ، فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ، وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ.

وَلِهَذَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ، عَنْ إِنْزَالِهَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فِي مَوَاضِعِ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ»(١).

ومِنْ أَعْظَمِ مَن اسْتَعْمَلَهَا فَرَأى نَفْعَهَا وَبَرَكَتَها: العلّامةُ الإمام، مُفتي الأنام وشيخُ الإسلام، ابنُ تيميّةَ عليه الرحمةُ والرضوان.

قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتِ السَّكِينَةِ.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧١).

وَسَمِعْتُهُ **يَقُولُ** ـ فِي وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ فِي مَرَضِهِ، تَعْجِزُ الْعُقُولُ عَنْ حَمْلِهَا ـ مِنْ مُحَارَبَةِ أَرْوَاحٍ شَيْطَانِيَّةٍ، ظَهَرَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي حَالِ ضَعْفِ الْقُوَّةِ ـ **قَالَ**: فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيَّ الأَمْرُ، **قُلْتُ لِأَقَارِبِي وَمَنْ حَوْلِيَ**: اقْرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ، **قَالَ**: ثُمَّ أَقْلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الْحَالُ، وَجَلَسْتُ وَمَا بِي قَلَبَةٌ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا أَيْضًا قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ، عِنْدَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُ لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي سُكُونِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ. اهـ[1].

وَقَدْ ذَكَرَها اللهُ تعالى فِي كِتَابِهِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ[2]:

الموضعُ الأوَّل: في قصّة الْملكِ طالوتَ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الموضعُ الثَّاني: في يوم حنين، وفي تلك اللَّحظات الحرجة العصيبة، التي قال الله عنها: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥]، أنزل السّكينةَ عليهم حين عَلِم

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧١).

(٢) رُبَّمَا يَتَساءَلُ أحدٌ عن الدليل الذي استدلَ به شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية، وتلميذُه ابنُ قيّم الجوزية ـ رحمهما اللهُ تعالى ـ على مشروعية تخصيص آيات السكينة عند الخوف والقلق والتوتر النفسي؟

فالجواب: «هناك قاعدة عند العلماء، وهي أنه إذا عُلِمَ بالتَّجربة أنَّ قراءةَ بعض الآيات في بعض المناسبات ينفع ويفيد، فلا بأس بتخصيصِها أكثر مِن غيرها في تلك المناسبات، مثالُه: قراءة آيات السحر على المسحور، فقد عُلِمَ بالتجربة أنَّ تأثيرها على الجنّي أعظم مِن غيرها».

صِدْقَهُم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦].

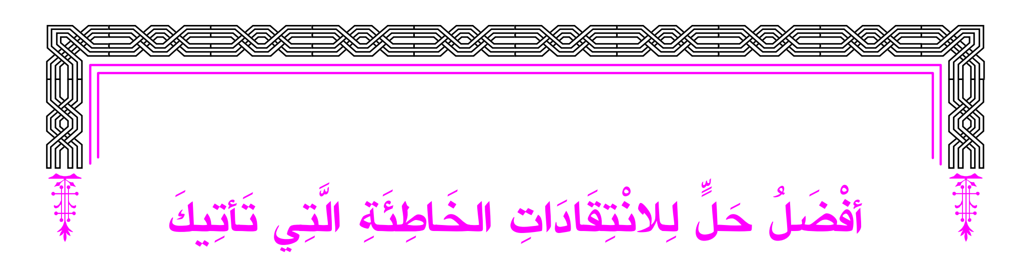
الموضعُ الثَّالث: في الغار يومَ الهجرة، الذي لو نظر أحدُ المشركين إلى موضع قدمه، لرأى النَّبِيَّ ﷺ وصاحبَه، وبينما هما في تلك الحالة الحرجة الشديدة، وقد انتشر الأعداءُ من كلِّ جانبٍ يطلبونهما ليقتلوهما، أنزل الله عليهما السّكينةَ، لتُذهب عنهما كلّ خوفٍ وهمّ، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الموضعُ الرَّابعُ: يومَ الحديبية، حين اضْطربتْ آراءُ المسلمين وكادوا أنْ يختلفوا، فأنزل الله السّكينة لتُثبّتهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

الموضعُ الخَامس: يوم أنْ بايع الصحابةُ رسولَ الله ﷺ على الموت في الحديبية، التي سُمّيتْ ببيعةِ الرضوان؛ فأنزل سكينته عليهم جزاءً لهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

الموضع السادس: يوم الحديبية أيضًا، يوم أنْ ثارتِ الحميّةُ الجاهليّة عند الكُفّار، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

❁ ❁ ❁



أفْضَلُ حَلٍّ لِلانْتِقَادَاتِ الخَاطِئَةِ الَّتِي تَأتِيكَ

إذا اقتنعْتَ ـ أخي الخطيب ـ في قرارٍ اتخذتَه، أو أسلوبٍ ارتضيتَه، أو طريقٍ سلكتَه، بعْدَ النَّظر والتَّأمُّل، واستشارة أهل الخبرة: فلا تلتفت إلى النَّاقدينَ واللائمينَ، فلن ينفكّ أحدٌ مهما فعل، ومهما علا قدرُه، مِن نقد النَّاس.

وَإِن الْتَفَتَّ إِلَى نَقْدِهِمْ: ضعُفَتْ همَّتُك، وضاقَ صدرُك، وزهدت في الرغبةِ في التَّطوير والإبداع.

وما مِن كتابٍ، ولا مقالٍ، ولا عملٍ، إلَّا وهناك مَن يعيبُه وينقدُه.

والخطيب يعرضُ كلَّ أسبوع عقله وعِلْمه على النَّاس، الذين فيهمُ المثقَّفُ والعالم، والمُدقِّقُ والنَّاقد، وبين يديه مَن تتلمذ في دراسته عليه.

وحاله كحال من سيؤلّف كتابًا، وقد قال **ابْنُ المُقَفَّعِ** (ت١٤٤هـ): «**مَنَ وَضَعَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتُهْدِفَ، فَإِنْ أَجَادَ فَقَدْ اسْتُشْرِفَ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتُقْذِفَ**»[١].

وقال **يَحْيَى بنُ خَالِدٍ البَرْمَكِيُّ** (ت١٩٠هـ): «**ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِهَا: الكِتَابُ عَلَى مِقْدَارِ كَاتِبِهِ، وَالرَّسُولُ عَلَى مِقْدَارِ عَقْلِ مُرْسِلِهِ، وَالهَدِيَّةُ عَلَى مِقْدَارِ عَقْلِ مُهْدِيهَا**»[٢].

---

(١) «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، المسعودي (١/ ١٧).

(٢) «الآداب الشرعية»، لابن مفلح (٢/ ٢٠٢).

وقال **الجَاحِظُ** (ت٢٥٠هـ): **«وَيَنْبَغِي لِمَنْ كَتَبَ كِتَابًا ألا يَكْتُبَهُ إِلَّا عَلَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَهُ أعْدَاءٌ، وَكُلُّهُمْ عَالِمٌ بِالأمُورِ، وَكُلُّهُمْ مُتَفَرِّغٌ لَه»**[1].

وقال **الخَطِيْبُ البَغْدَادِيُّ** (ت٤٦٣هـ): **«مَنْ صَنَّفَ فَقَدْ جَعَلَ عَقْلَهُ عَلَى طَبَقٍ يَعْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ»**[2].

فَالمُتَصَدِّي لِلْخُطَبِ وَالإلقَاءِ: إنَّما يَعرضُ عقلَه على النَّاس، ولهذا يَنْبغي له أن يعلم أنه سيستمع لخطبه وكلامه وتقريراته العَالِمُ والجاهلُ، والحكيمُ واللئيمُ، فلا يعتقد أن كلَّ من سيحضر خطبه ومحاضراته سيثني عليها ويُحدِّث بمحاسنها.

والنقد ثقيلٌ في الغالب، وكثير من الناس يغضب عندما يُنقد، وربما تعكَّر مزاجه، وضاق صدره.

وَإِذَا أَرَدْتَ ـ أَخِي الخَطِيب ـ أَنْ تَصِلَ إِلَى مَرْحَلَةٍ تَتَقَبَّلُ فِيهَا النَّقْدَ بِصَدْرٍ رَحِبٍ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ مِنْهُ أَبَدًا: فَعَلِيكَ بِهَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ المُجَرَّبَةِ العَمَلِيَّة:

١ ـ **ابحث عن حلٍّ لنفسِكَ لا لغيْرِك**، فَرِضَا جَمِيعِ النَّاسِ شيءٌ لا تَنَالُه، **وَقَدْ قَالَتِ الحُكَمَاءُ**: جُبِلَ النَّاسُ عَلَى ذمِّ زمانِهم، وقلَّة الرِّضا عن أهلِ عصرِهم.

وَقَالَتْ: لا سبيل إلى السلام من ألسنة العامة.

وَقَالَتْ: رضا الناس غاية لا تدرك.

وَمَعْنَى هذه العبارة: «أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْلَمُ مِن النَّاسِ عَلَى كُلِّ حَالٍ،

(١) «الحيوان» (١/ ٨٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٨/ ٢٨٢، ١٩/ ٣٠٨).

فَيَنْبَغِي أَن يَسْتَعْملَ مَا يُصْلِحُه وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِمْ»[(١)] .

وَلا رَيْبَ أنَّ هناك مِن النَّاس مَن لا تُعجبُه بعْضُ أعمالِكَ وأقوالِكَ، فلا بد أنْ تُهيّئ نفسَك مِن أوَّلِ الأمر على تقبُّل النَّقْدِ الذي هو مِن طبيعة البشر، فاعتد على ذلك، وعلى أنَّه ليس غريبًا؛ بل الغريبُ عدم سماع ناقد، **فَلَو جَاءَ أَحَدٌ إليكَ، وَقَالَ**: هناك مَن نقدَكَ على كذا وكذا، ولم يكن نقدُه صوابًا، فلا تستغرب؛ بل تقبّل الأمر وهيِّئ نفسَك لسماعِ مِثْل هذا النَّقْد وأكثر؛ لأنَّ وجود غريزة النَّقْد في النَّاس كبقية الغرائز فيهم، فما هو الغريبُ في ذلك؟!

٢ ـ **أقنعْ نَفْسَكَ** أنّ مَن نقدَك لا يريد مِن نقدِه إلا الخير لك، دفعه حبُّ النَّصيحة والخير؛ وهذا يدفعك إلى حبِّه وشكرِه، لا إلى النُّفْرَةِ وضيق الصَّدْر.

وَمِمَّا جَاءَ فِي بَعْضِ الكُتُبِ المُعَاصِرَة: «عندما تركز انتباهك على إلقاء اللوم على غيرك فإنك تبدِّد طاقتك وقدرتك وتضيع وقتك.

وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ: حاول أنْ تركز طاقتك على تحسين نمط حياتك».

٣ ـ كن على يقين أنَّ جُلَّ النَّاقدين لا يَنْطَلِقون في نقدهم مِن حقائقَ علْمية، وتَجَارب مُطّردة، وثَوابت قطعيّة؛ ليُحاكمُوا الناسَ عليها، وينقدوهم على مخالفتِها.

بل يَنْطَلِقون في نقدهم مِن أذواقِ أنفسِهم وعاداتِهم.

وَخُذْ هَذَا الدَّلِيلَ مِنَ الوَاقِع: حينما قرَّرتُ أنْ أخطب ارْتجالًا، واجهتُ انتقاداتٍ كثيرةً من بعض الناس، وكان نقدُهم على ارتجالي

(١) «جمهرة الأمثال» (١/ ٤٩٣).

للخطبة، وما قد يُسبِّبُه مِن التَّشتت والاستطراد، ولم يذكر أحدٌ منهم عيبًا واضحًا.

وصرَّح لي غيرُ واحد بأنّ الخطباء الآخرين ـ وهم أعلم وأكبر منك ـ يخطبون بورقة! فهل أنت أحسن حالًا مِنْهم؟

فَقُلْتُ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ: سأخطُب الجمعة القادمة بورقة، وأَعْطُوني رأيكم فيها.

وَبَعْدَ الخُطْبَةِ قَالَوا لِي: ما أحسن خطبتك اليوم، حيث تميَّزت بالأسلوب الرائع، وعدمِ التَّشتت والاستطراد، ولا مقارنة بين خطبتك اليوم وخطبك السابقة.

فَقُلْتُ لَهُمْ: في خطبتي السَّابقة وما قبلها كانت بين يديَّ ورقةٌ كتبتُ فيها رؤوس الأقلام والمواضيع والأدلة، حتى أضبط الوقت، ولا أستطرد ولا أتشتَّت، وأمَّا خطبتي هذه فقد خطبتُ بورقةٍ بيضاء، ليس فيها حرفٌ واحد! وجعلتُ أنظرُ إليها في الخطبة كأني أقرأ منها، وأقَلِّبها بين الفينة والأخرى!

حينها وصلت إلى قناعةٍ راسخةٍ أنّ جلَّ نقد النَّاس راجعٌ إلى أذواقِهم وعاداتِهم ورغباتِهم.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فلا ينبغي الانشغال بنقدهم؛ لأنّ نقدَهم ـ غالبًا ـ لا يعني خطأك؛ بل يعني مخالفتَك لأذواقهم، وخروجك عن مألوفِهم.

فَلِمَ الحزنُ مِن نقدِهم؟ والاهتمام بكلامِهم؟

ويا ليت الذي ينقد الآخرين لا ينقدهم إلا على قول أو فعل ظهر وتحقق خطؤه، أو ثبتت حرمتُه بنصٍّ شرعيٍّ صحيحٍ صريحٍ، أو بما أجمع عليه العلماء.

٤ ـ وطِّنْ نفسك على تقبُّل النقد، وعدم التضايق منه، وغيّر قناعتَك تُجاه النَّقْد والنَّاقدين.

واعلم أنّ الأفعال، والاعتقادات، وردود الأفعال ناشئةٌ مِن القناعات، فمن اقتنع أنّ النَّقْد مِن سِمَةِ البشر، وأنَّه لم يسلمْ أحدٌ مِن النَّقْد، حتى نبيّنا ﷺ لم يسلمْ مِن النَّقْد، الذي لم يأتِ مِن الكفار والمنافقين فحسب؛ بل مِن بعْضِ الصَّحابة ﷺ: هيَّأ نفسَه لتقبُّل النَّقْد ولم يغضبْ ولم يحزنْ.

وأعرفُ رجلًا كان يتضايق وينزعج مِن النَّقْد في موضوعٍ مَا، ويتحسَّس مِنْه كثيرًا، فدار نقاشٌ مع أقاربِه وأصحابِه حول النَّقْد، فتوصلوا إلى أنَّه ينبغي عدَمُ الغضب مِن نقد النَّاسِ، وأنّ العاقل لا ينبغي أنْ يكترثَ مِن نقدِهم، ونحو هذا الكلام، وقرَأَ عن هذا الموضوع، واقتنعَ بذلك.

قال: وبعد شهر تقريبًا مِن هذا النِّقاش، جاءني نقدٌ لم أسمعْ مِثْلَه قسوةً وفضاضةً في ذلك الموضوع، وفي وقت غير مناسب أبدًا، وكان قد نقدني في نفسِ الموضوع أكثر مِن مرَّة، وقد تعجبتُ مِن نفسي أنَّي لم أغضبْ وأنا أستمعُ لهذا النَّقْد اللاذع، ولم أكترثْ مِن نقدِه، وجعلْتُ أحاورُه بهدوءٍ ورحابةِ صدر، وأوضحُ له وجهةَ نظري، ثم فارقتُه ولم أحملْ في خاطري عليه مثقالَ ذرَّة؛ بل جعلْتُ أقولُ: إنَّما فعلَ هذا مِن حبّه لي، ونصحِه لي، ولو أخطأ في أُسلوبِه.

فطبّق هذه القاعدة المجربة العملية، وسوف ترى أنَّكَ بعْدَ الاستعانةِ بالله، والتَّوكلِ عليه وكثرة المران على تقبل النقد: لنْ تتضايقَ مِن النَّقْد مهما كان قاسيًا، ومهما جاء من عزيز وكبير.

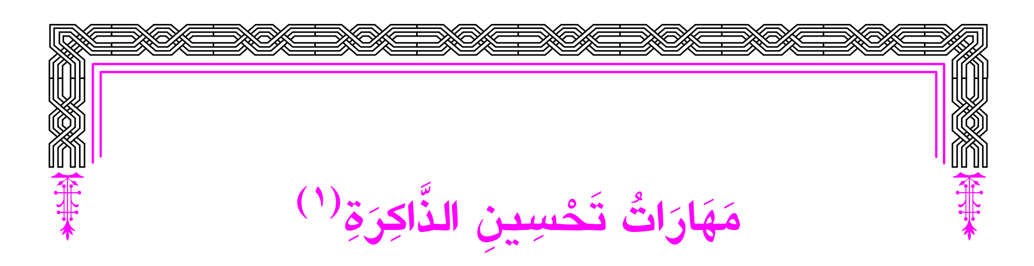
٥ ـ اتخذْ هذه القاعدةَ منهجًا لك حينما تُنقد بما ليس فيك: اخترتُ لنفسي ألا أغضب، وأنِّي لا أرى نقدك جارحًا.

وذلك أنه حينما تسمع نقدًا لاذعًا من أحد من النَّاس، فإنَّ الشيطانَ يحملُه على أسوء محمل، والعاقلُ يحملُه على أحسن محمل، ولو كان بعيدًا.

وحينما تحملُه على أسوء محمل، وإنْ كان ظاهر نقده يدل على ذلك، فماذا ستستفيد سوى الهمّ والحقد على أخيك!

فأمَّا إذا حملت تصرّفات النَّاس ونقدهم على أحسن محمل: فقد استرحت وأرحت، وتجنَّبت أعظم سبب للنكد والهمّ، والأمراض الخطيرة المنتشرة.





مَهَارَاتُ تَحْسِينِ الذَّاكِرَةِ[(١)]

مِن مقومات الخطيب الناجح قوة ذاكرته، وجودة استحضاره لعناصر خطبته، وأركانُ التذكُّر سهلةٌ جدًّا، وهي ثلاثة فقط، وكل ما يسمى بجهاز الذاكرة يقوم على هذه الأركان:

[١]: **التَّرْكِيز.**

[٢]: **التَّكْرَار.**

[٣]: **تَرَابطُ الأفْكَار.**

أولًا: التَّرْكِيز:

إنَّ أوَّلَ رُكْنٍ لِلْذَّاكِرَةِ هُوَ: الحصول على تصوّر راسخ واضح عن الشيء الذي ترغب في تذكره، ومن أجل القيام بذلك يجب أنْ تركز تفكيرك في الموضوع الذي تريد طرحه والتحدث عنه.

فَإذَا أرَدْتَ أنْ تَتَكَلَّمَ عَنْ الأخْلاقِ: فحدد الأركان الأساسيّة للموضوع، وركز عليها تركيزًا شديدًا، وانطلق منها نحو الفروع، من الأدلة والأمثلة ونحوها.

إنّ خمس دقائق من التركيز الشديد تسفر عن نتائج عظيمة أكثر من قضاء عدة أيام في التأمل.

---

(١) يُنظر: «فن الخطابة» (٥٣ ـ ٦٠)، مع التصرف.

فحينما يأتيك ثلاثة من الرجال ويُعرّفونك بأنفسهم، فتنسى اسم واحد منهم بعد دقيقتين، فليس السبب من ضعف ذاكرتك؛ بل من ضعف تركيزك واهتمامك بهذا التعريف.

ثانيًا: التَّكْرَار:

باستطاعتك أن تتذكر كمية كبيرة من المعلومات إذا كررتها جيدًا، فلذا أعد وكرّر المعلومات التي تريد أن تتذكرها.

واستخدم الكلمات والمعلومات الجديدة في حديثك، وادع الغريب باسمه إذا أردت أنْ تتذكره.

ثالثًا: تَرَابطُ الأفْكَار:

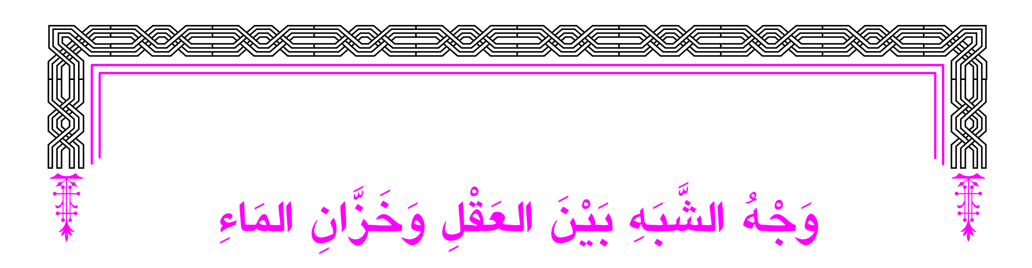
إنّ سر الذاكرة الجيدة هو تكوين عدة أفكار مترابطة.

قَالَ أحَدُ الكُتَّابِ: كنتُ أستظهر المحاضرات غيبًا في كل ليلة، وكان علي في كل ليلة أن أستعين بصفحة من الملاحظات كي لا أرتبك، وكانت الملاحظات تتألف من بدايات الجمل من المحاضرة..

ثم اكتشفتُ وسيلة أخرى للحماية، فحفظتُ أول الأحرف غيبًا.

بعد ذلك خطرت لي فكرة الصور، فتلاشت مشكلاتي، وخلال دقيقتين رسمت بقلمي ست صور قامت بعمل الجمل الرئيسية تمامًا، ثم رميت بالصور بعدما رسمتها؛ لأنني تأكدت أن باستطاعتي إغلاق عيني ومشاهدتها في أي وقت.

فَاحْرِصْ ـ أخِي الخَطِيب ـ عَلَى رَبْطِ أركَانِ الخُطْبَةِ بِصُورَةٍ مَوْجُودَةٍ فِي ذِهْنِك مُسْبَقًا، بِتَسلسُلٍ مَنْطِقي يَسْهُلُ عَلَيكَ أنْ تَتَذَكَّرَهَا بِإذنِ اللهِ تَعَالَى.



وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ العَقْلِ وَخَزَّانِ المَاءِ

هناك تشابهٌ بيْنَ العَقْل وبيْنَ خزَّانِ ماءٍ كبير، له صنبورٌ عفا عليه الزَّمنُ، فكثُرتْ فيه الطَّحالبُ والأوساخ، ومَن رآه مِن الخارجِ ظنَّه سليمًا؛ لأنَّ العيبَ في المجْرى الدَّاخلي لا في ذاتِ الصنبور، فإذا احتاج أحدٌ للشُّرب مِنْه لا يكادُ يخرُج مِنْه الماء، فيظنّ أنّ الخزَّان قد نَضَبَ عنه الماء، والعيبُ ليس في الخزَّان ولا في الصنبور.

وكلّما كثُر استعمالُ الصنبورِ اتَّسعَتْ الفتحةُ ودرَّ، فروي الشَّارب، وإذا أزيل ما فيه من الشَّوائب خرجَ مِنْه الماءُ الغزير الذي يروي الجماعات مِن النَّاس، واتصل الصنبور بالخزَّان وحسُنت العَلاقةُ بينَهُما بعْدَ ما كانَتْ هناكَ فجْوة.

وَهَكَذَا العَقْلُ وَاللِّسَانُ وَالرَّابِطُ بَيْنَهُمَا، فعقولُنا مليئةٌ بالعِلْم والكلمات والعبارات والأدلة والتجارب، وألسنتُنا سليمةٌ، ولكنَّنا حينما نريد الحديثَ أمامَ النَّاسِ لا يكادُ العقل يفتح مغاليقه ويعطي درره وكنوزَه؛ لأنَّ اللسانَ لم يُعَوِّد العقلَ جَلْبَ ما فيه؛ بل اللِّسان يغرف من المكتوب، والرابط بينهما العين، فيظل العقل مُعطّلا، واللسان خَرِبًا، والعيب ليس فيهما؛ بل في قِلَّة الصلة بينهما، فتعطلا جميعًا أو تعطّل أحدهما.

وكلما أكثرنا الحديثَ أمامَ النَّاسِ، وأعطينا اللَّسانَ حقَّه في أنْ يغترف بالعقل ويتَّصل به: أزلنا الرواسبَ التي تمنعُ اللِّسانَ مِن الاتصال

بالعقل، وجَلَبَ ما فيه مِن الكنوز والدرر، وَحَسُنَتْ العَلاقةُ بينهما، وتصادقا بعد طول انقطاع، وإذا اصطلح اللسان والعقل أدى ذلك إلى قوةِ بيانٍ، وحسنِ منطق، وقدرةٍ على احتواء المواقف.

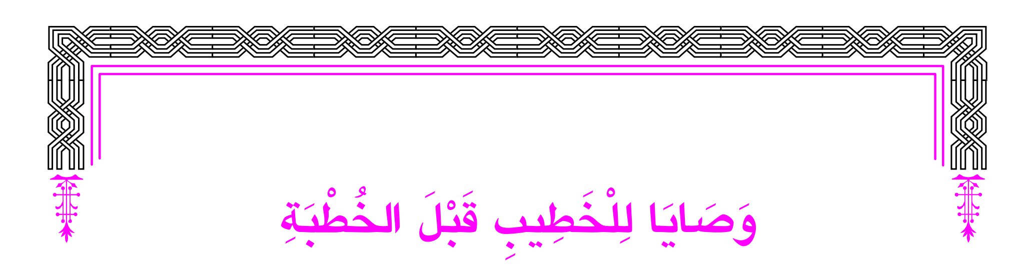
وَقَدْ قَالَ أبو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أول آلات البلاغة: جودةُ القريحة، وطلاقة اللسان، ويأتي ذلك بالتدرب والمجاهدة[1].

وَقَدْ قِيلَ: إنَّ الذي يعتمد على ذاكرتِه تُلَبِّيه مُسْرِعةً.

فالعَقْلَ كَغِيرِهِ مِن الأعْضَاءِ، يَقْوَى بِالتَّدَرُّبِ وَالتَّمْرِينِ وَطُولِ المُمَارَسَةِ، فَيَسْهُلُ جَلْب الأَدِلَّةِ وَالعِبَارَاتِ مِنْهُ عِنْدَ الحَاجَةِ، حَتَّى إنَّ الخَطِيبَ مَعَ طُولِ المِرَانِ يَتَفَنَّنُ فِي اخْتِيَارِ العِبَارَاتِ وَالكَلِمَاتِ وَالشَّوَاهِدِ دُونَ تَحْضِيرٍ مُسْبَقٍ.



(١) سيأتي بسط كلامه.



وَصَايَا لِلْخَطِيبِ قَبْلَ الخُطْبَةِ

ينبغي لك ـ أخي الخطيب ـ أنْ تقوم بعدة أمور قبل الخطبة، تستعينُ بعد الله تعالى بها للوقوف على المنبر وارتجال خطبك، **منها**:

أولًا: إعدادُ مجموعة خطبٍ قبل إلقائك بزمن طويل غالبًا، وقد يكون بين إعدادِك لها وبين إلقائها أشهرٌ أو أعوامٌ.

وذلك أنه حينما يخطر لك موضوعٌ، أو تمُرُّ خِلَالَ قراءتك بفائدةٍ قيِّمة، أو حديثٍ اسْتوقفك، أو آيةٍ تأمَّلْتَها: فدوِّن ذلك مُباشرة دون تأخير، حيث تكون المشاعر جيَّاشة، والأفكار حاضرة ومُترابطة، ولو أجلتَ الكتابة حينها لضاعت الأفكار والخواطر، وصعب تذكرها واسْتحضارها، ثم اكتب ما يجود به الخاطر، ثم ابدأ بعد ذلك بجمع المادة العلمية ـ دون تكلّف ـ مِن الكتاب والسُّنَّة وكلامِ أهل العلم الذين وقفتَ على كلامهم خلال قراءتك لكتبهم أو الكتب التي نقلت عنهم، وابحث في المكتبة الشاملة، أو الشبكة العنكبوتية عند الحاجة.

فَمَا وَجَدْتَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَوضُوعِ الخُطْبَةِ: فخذه وضَعْه في ملف في الحاسب، بدون ترتيب وتدقيق.

وَهَكَذَا افْعَلُ دَائِمًا فيما يخطر أو يمرّ عليك من المواضيع والفوائد، ودوّن حينها ما يجود به الخاطر، وابحث واكتب ما تقدر عليه، ثم اتركه وامض في قراءتك المعتادة، فإذا وجدتَ فائدةً أو آيةً أو حديثًا مُتعلقًا بأحد الخطب التي كتبتها أو كتبت بعضها: فأضفه إليها.

فَرُبَّمَا تمكثُ الخُطْبَةُ عِنْدَك عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، وألقها في دروسك أو مُحاضراتك أو كلماتك، فسيُفتح لك في أثنائها من اللطائف والفوائد ما لم يخطر لك قبلها، وستذكر أشياءً كنتَ قد نسيتها، وستكون جاهزة مُكتملة ـ بقدر الإمكان ـ عندما تلقيها في خطبة الجمعة.

ثانيًا: ألقها كاملة أو مُجزّأةً عبر كلمات في المساجد، والهدف من ذلك:

أ ـ ترسيخ المعلومات وحفظها.

ب ـ نشرها بين الناس، وخاصة في المساجد التي لا تكون قريبة من الجامع الذي تخطب فيه، والغالب أن جماعتك لا يحضرون عندك.

ج ـ الزّيادة في استقصاء الموضوع، والغالب أنك إذا ألقيتَها سيلوح لك في أثناء الكلمة أو بعدها أمورٌ مهمة ينبغي الحديث عنها.

ثالثًا: ألقها يوم الجمعة قبل موعد الخطبة بساعتين تقريبًا كإلقائك إياها في الخطبة.

وَالهَدَفُ مِنَ ذَلِكَ:

أ ـ ضبط الوقت، حيث تحسب الوقت وتحذف بعض أجزاء الخطبة إذا تجاوز الوقت المعتاد، وتزيد إذا كان أقل من الوقت المعتاد.

ب ـ إتقان الأداء؛ لأنّ إلقاءك لها قبل ذلك من أعظم أسباب سلامتك مِن الأخطاء والتردُّدِ الذي يقعُ فيه كثيرٌ مِمَّن يخطب ولو بورقة.

ج ـ ضبط نبرات الصوت، حيث تزن نبرات الصوت، والمواضع التي ينبغي فيها رفع الصوت أو خفضه، وسرعة الكلام أو بُطؤه.

وتحتاج إلى هذا العمل في بداية الخطابة، وبعد طول الممارسة والخبرة ستستغني عن ذلك.

رابعًا: لا تتكلّفْ في البحث والإعداد، واجعل همّك أنْ تجمع مادّة تنفعك أولًا، ثم تنفع المستمعين على اختلاف طبقاتهم.

«ومِن الأوصافِ التي إذا كانت في الخطيب سمّي سديدًا، وكان من العيب معها بعيدًا، أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جاريًا على سجيته، غير مستكره لطبيعته، ولا متكلف ما ليس في وسعه؛ فإنَّ التكلف إذا ظهر في الكلام هَجَنَه[١]، وقبَّح موقعه؛ وحسبك مِن ذمِّ التكلف أن الله سبحانه أمر رسولَه ﷺ بالتبرؤ منه فقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]»[٢].

قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ نظر في استدلالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَلَى إِثْبَاتِ الْأَحْكَامِ التَّكْلِيفِيَّةِ؛ عَلِمَ أَنَّهُمْ قَصَدُوا أَيْسَرَ الطُّرُقِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى عُقُولِ الطَّالِبِينَ، لَكِنْ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ متكلَّف، وَلَا نَظْمٍ مُؤَلَّفٍ؛ بل كَانُوا يَرْمُونَ بِالْكَلَامِ عَلَى عَوَاهِنِهِ، وَلَا يُبالون كيف وقع في تَرْتِيبِهِ، إِذَا كَانَ قَرِيبَ الْمَأْخَذِ، سَهْلَ الْمُلْتَمَسِ».اهـ[٣].

وَقَدْ رَأيتُ التَّكَلُّفَ فِي كُلِّ شَيءٍ ضَارًّا وَشَاقًّا، وَيؤولُ بِصَاحِبِهِ إلَى الانْقِطَاعِ أو المَلَلِ وَالفُتُورِ غَالِبًا.

وَمَعْنَى: رَمَى الكلامَ على عَواهِنِه: أَي: لم يتكلف في اختياره وأسلوبه.

قَالَ بَعْضُهُمْ: يقال: هو يُلقِي الكلامَ على عواهنه، إذا لم يبالِ كيف تكلَّم.

---

(١) **هجنَ الْكَلَام وَغيره**: أي: صَار معيبًا مرذولًا.

(٢) «البرهان في وجوه البيان»، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم الكاتب (١٦٨).

(٣) «الموافقات»، للشاطبي (١/ ٧٠).

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي**: «**مَقَايِيس اللُّغَة**»[١]: وهذا قياسٌ صحيح؛ لأنَّه لا يقوله بتحفُّظ وتثبُّت.اهـ.

وَالتَّكَلُّفُ: معالجة الكلفة، وهي ما يشق على المرء عمله والتزامه لكونه يحرجه أو يشق عليه، ومادة: (**التَّفَعُّل**): تدل على معالجة ما ليس بسهل.

وَهُوَ التَّعَمُّقُ المَذْمُومُ شَرْعًا وَعَقْلًا: قَالَ **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاصَلَ **رَسُولُ اللهِ** ﷺ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَوَاصَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**لَوْ مُدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وِصَالًا، يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**»[٢].

«**وَالتَّعَمُّقُ**: الانتهاء إلى عُمْقِ الشَّيء وغَايتِه، مأخوذ من عَمُقَ البِئْرُ، وهو أقصى قعرها»[٣].

قَالَ الخَلِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المُتَعَمِّقُ**: الْمُبالِغُ في الأمرِ المنشُودِ فيه، الذي يطلب أقْصَى غايته»[٤].

وَالكَلامُ غَيْرُ المُتَكَلِّفِ: يصل للقلب، ويستفيد منه العامي وطالب العلم.

وأمَّا التكلُّف في اختيارِ العبارات، وسردِ الأقوال، وتنقيح الألفاظ: فإنه يُصيب صاحبَه بالمشقَّةِ والتَّعب، الذي يؤول إلى انقطاعِه غالبًا، ويُصيب السامع أو القارئ بالملل والسآمة، وقلة الاستيعاب والفهم، وربما نفّره مِن الاستماع لمواعظ الواعظين، ونصائح الدُّعاة

---

(١) (٤/ ١٧٦).
(٢) رواه البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤).
(٣) «المفهم» (٣/ ١٦٢).
(٤) «العين» (١/ ١٨٧).

والعلماء، والقراءة والمطالعة[(١)].

وَمِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلِ فِي هَذَا الشَّأْنِ مَا نَقَلَهُ أَبُو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: عن بعضِهم: «**أَوَّلُ البَلاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ البَلاغَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الخَطِيبُ رَابِطَ الجَأْشِ، سَاكِنَ الجَوَارِحِ، مُتَخَيِّرَ اللَّفْظِ... وَلا يُدَقِّقُ المَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيق، وَلا يُنَقِّحُ الألفَاظَ كُلَّ التَّـنْقِيح**».

ثُمَّ شَرَحَهُ فَقَالَ: قوله: «**أَوَّلُ البَلاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ البَلاغَةِ**»: وأول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان، ويأتي ذلك بالتدرب والمجاهدة.

وقوله: «**وَلا يُدَقِّقُ المَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيق**»؛ لأنّ الغاية في تدقيق المعاني سبيلٌ إلى تعميتِه، وتعميةُ المعنى لُكْنة[(٢)].

وقوله: «**وَلا يُنَقِّحُ الألفَاظَ كُلَّ التَّـنْقِيح**»: وتنقيح اللفظ أن يُبْنى منه بناءً لا يكثر في الاستعمال.

وَيَدْخُلُ فِي تَنْقِيحِ اللَّفْظِ: اسْتَعْمَالُ وَحْشِيِّه، وتَرْكُ سَلْسَلِه[(٣)] وسَهْلِه. اهـ[(٤)].

«واعلم أنه قَلَّمَا يستطيع الخطيبُ أن يتناول الموضوعَ من أوله إلى نهايته دَفْعَةً واحدة، فإن هو كَلَّف عَقْلَه ذلك أرهقه ضَجَرًا، ولا سِيَّمَا عند

(١) «**عِبَاراتٌ أَثَّرَتْ عليّ وَغَيَّرَتْ فِي حَيَاتِي**»، للمؤلف (٣١ ـ ٣٣).

(٢) **اللُّكْنَةُ**: الْعِيُّ فِي اللِّسَانِ.

(٣) يُقال: كلامٌ سَلْسَلٌ؛ أي: سَهْلُ الفهم، واضح المعنى، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: مَاءٌ سَلْسَلٌ وَسَلْسَالٌ وَسُلَاسِلٌ: سَهْلُ الدُّخُولِ فِي الْحَلْقِ لِعُذُوبَتِهِ وَصَفَائِهِ. «مقاييس اللغة» (١/ ١٥٢)، مادة: (سلّ).

(٤) «كتاب الصناعتين»، لأبي هلال العسكري (٧ ـ ٣٠).

تَشَعُّبِ الموضوع وكثرة المعاني فيه، فيكادُ ييأسُ من المقدرة عليه؛ إذ تلوح له معانٍ كثيرةٌ فَيَرُوعُه انتشارُها ولا يدري كيف يبتدئُها»(١).

خامسًا: استحضر أنّك ذاهبٌ لتبليغ رسالات الله والدعوة إليه، واقرأ ـ أحيانًا ـ قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، واقرأ ـ أحيانًا أخرى ـ قولَه تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

وقولَه تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨](٢).

وَهَذَا يَدْفَعُك لمزيدٍ مِن الإخلاص والهمَّةِ والاقتداءِ بالنَّبِيِّ ﷺ، واستحضارِ الغَاية العُظمى مِن الخَطابة، والتي مِن أجلها بعثَ اللهُ تعالى

(١) «أصول الإنشاء والخطابة»؛ لابن عاشور (ص٥٥).

(٢) قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو الحديث الطويل الذي رواه مسلم في «صحيحه»، وفيه: «كان إذا فرغ من الطواف تقدم إلى مقام إبراهيم، وقرأ حين تقدم ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]: وذلك ليشعر نفسه أنه إنما تقدم إلى هذه المقام ليصلي خلفه امتثالًا لأمر الله، وكذلك أيضًا حينما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به، ليشعر نفسه أن هذا السعي من شعائر الله، وأنه يبدأ بالصفا لأن الله بدأ به.

وهكذا أيضًا ينبغي لنا: في كل طاعة أن نشعر بأننا نفعلها امتثالًا لأمر الله، مثل: الوضوء، أكثرنا يتوضأ الآن، على أن الوضوء شرط من صحة الصلاة، هذا هو الذي يكون على ذهن الإنسان، لكن ينبغي أن ينوي بذلك أنه ممتثل لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، حتى يشعر بالعبادة والتذلل لله ﷻ، كذلك أيضًا هو يتوضأ الآن على صفة مخصوصة ينبغي أن يشعر بأنه يتبع بذلك رسول الله ﷺ، حتى يكون جامعًا بين الإخلاص والمتابعة، هذه المسألة والله إننا نغفل عنها كثيرًا».اهـ. «مجموع الفتاوى» (٢٢/٤٠٦).

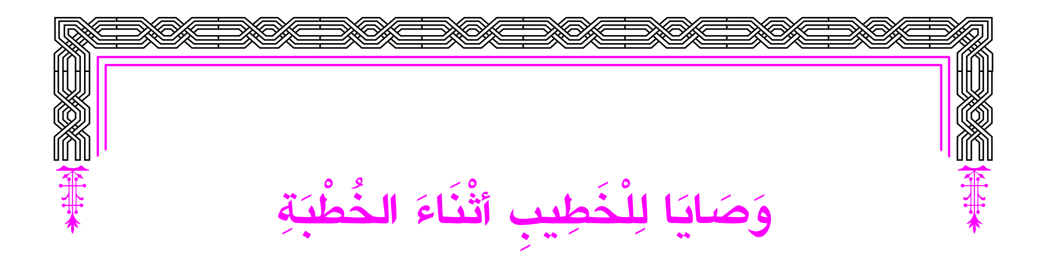
أنبياءَه ورسُلَه، وهي تبليغُ الدِّين ونشرُه، وهذا هو أعظم منصب في الدنيا، ومَن تولاه كما ينبغي فهو صدّيق، **قَالَ شَيخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيمِيَّة ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: «مَنْ تَعَلَّمَ العِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ وَعَلَّمَهُ لِوَجْهِ اللهِ كَانَ صِدِّيقًا»**. اهـ[١].

سادسًا: ادع الله قُبيلَ صعودك للمنبر أن يرزقك الإخلاص والتوفيق والسداد، وأن ينفعك وينفع غيرك بما تقول، فكم من خطيب ومُتحدّثٍ لم يتّعظ بما يقول، وإن اتعظ فسرعان ما ينسى ما قال، لا سيّما إذا طال به العهد.

وَاسْأَلْهُ تَعَالَى دائِمًا: أَنْ يَرْزُقَك الفَصَاحَةَ وَالبَيَانَ، وَرِباطَةَ الجَأْشِ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٧١).



وَصَايَا لِلْخَطِيبِ أثْنَاءَ الخُطْبَةِ

هناك عدة أمور ينبغي لك أنْ تقوم بها أثْنَاءَ الخطبة، **منها**:

أولًا: لا تتكلَّف اصطناعَ المشاعرِ ولا كتمانها حين تعيش أحداث القصص والمواقف والعبر، وعلى حسب السِّياق أظهر مشاعرك عبر قسمات وجهك، وتعابير عينيك، واختلاف نبرات صوتك.

وَمِمَّا أَوصَى بِهِ أَهْلُ الخِبْرَةِ وَالبَلاغَةِ وَالخَطَابَةِ: أنْ تدعَ لسانَك يترجم عن قلبِك، مفوِّضًا إليه التعبير عن خواطرِك بحريته الكاملة، المنضبطة بضوابط الشرع والعرف.

وقد كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»(١).

فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ: «أنْ يروضَ نفسَه على تصوير المعاني، وأن يجعل من نغمات صوته، وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالة الألفاظ، وليعمل على أن يكون صوته ناقلًا صادق النقل لمشاعر نفسه، وليمرنه التمرين الكافي على أن يكون حاكيًا صادق الحكاية لمعاني الوجدان، وخواطر الجنان، وليعلم أن لا شيء كالصوت يعطي الألفاظ قوة حياة، وأنه إذا أحسن استخدامه خَلَقَ به جوًّا عاطفيًّا يُظِلُّ السامعين، وبه يستولي عليهم»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) «الخطابة الإسلامية»، لعبد العاطي عبد المقصود (٢٥).

«**وَقَدْ يَتَكَلَّفُ الرَّجُلُ** أن يتكلَّم في هدوء وسكون، ويحرص على أن لا يتحرَّك من جوارحه حين يتحدث غير شفتيه ولسانه، وإنما تتيسَّر هذه الهَيْئَةُ لمن يتحدَّثُ في راحةِ بالٍ وقرارةِ جَأْشٍ، وليس هذا شأنَ الخطيب المطبوع، وإنما شأنه تَوَقُّدُ الفؤاد، وهياج العاطفة»(١).

واعلم أنّه كُلَّمَا كَانَ إلقَاؤكَ عَلَى طَبِيعَتِه، وَلَمْ تَتَكَلَّفْ فِيه: كان أشد تأثيرًا، فكن على سجيّتك التي نشأت عليها، وأسلوبك الذي تُمارسه أثناء الحديث والكلام في غير الخطبة، مع العناية بنبرات الصوت وتحسين الأداء.

وَكَثِيرٌ مِن الخُطَبَاءِ يجعل للخطبة أسلوبًا مختلفًا تمامًا عن أسلوبه الذي اعتاد عليه، وكأنه يرى أنّ للخطابة أسلوبًا رتيبًا، ونمطًا فريدًا خاصًّا بها، وهذا يُفقده التأثير على المستمعين، والوصول إلى قلوبهم.

ثانيًا: لا تسرد الخطبة سردًا، واخطب بتمهّل، وقف وقفات يسيرة عند الحاجة إليها، واهتمّ بمستوى نبرات الصوت حسب الموضع اللائق به، فارفع الصوت وأسرع في الحديث إذا كان المقام يقتضي ذلك.

«فالتمهل يجعل الصوت يسري إلى السامعين جميعًا بأيسر مجهود متناسب مع المكان والعدد، بينما الإسراع يجعل الكلمات تحتاج إلى مجهود صوتي أكبر؛ ليصل الكلام إلى الآذان»(٢).

ثالثًا: احسب وقت الخطبة بدقة، ولا تتجاوز ربع ساعة إلا عند الحاجة.

---

(١) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٩٢).
(٢) «الخطابة الإسلامية»، لعبد العاطي عبد المقصود (٢٥).

رابعًا: اجعل الخطبة مكونةً من أركان وفروع، واحفظ الأركان لتسهل عليك الفروع.

فَمَثلًا: لو أَرَدْتَ أَنْ تخطب يومًا عَنْ مَوضُوع: «أَهَمِّيَّة تَجْدِيدِ الإِيمَانِ»:

فقم بكتابة أركان الخطبة وفروعها؛ لتحفظها وتتقنها، وهي كالتالي:

عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** ﵄ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**»[1].

١ ـ وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالثَّوبِ:

فالثوب يبلى ويتسخ، فيحتاج الإنسان أولًا إلى غسله، ثم تنظيفه بعد ذلك، ثم المحافظة على نظافته، ومهما حرص الإنسان عليه فسوف يتسخ، فيحتاج إلى تكرار غسله وتطييبه، وهكذا الإيمان.

٢ ـ أَهَمِّيَّةُ تَجْدِيدِ الإِيمَانِ:

ـ بعض الناس منذ عقل الإيمان لم يجدّده، ولم يتعاهدْه.

ـ كان السَّلفُ يجددون إيمانَهم، **كَابْنِ تَيمِيَّة** ﵀، حيث كان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: «**وَاللهِ إِنِّي إِلَى الآنَ أُجَدِّدُ إِسْلامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلامًا جَيْدًا**»[2].

---

(١) رَوَاهُ أحمدُ والطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، قال الهيثمي: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وصححه الألبانيّ.

(٢) «المستدرك على فتاوى ابن تيمية»، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم (١/ ١٢٢).

٣ ـ وَسَائِلُ تَجْدِيدِ الإيمَانِ:

أ ـ التَّوْبَة:

* كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار.

ب ـ المُبَادَرَةُ إلى الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ والإكثار منها، فهي تزكي النفس، وتقوي الإيمان.

* ذكر الآيات الحاثة على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

الخُطْبَةُ الثَّانِية:

٤ ـ ثَمَرَاتُ تَجْدِيدِ الإيمَانِ:

أ ـ مَحَبَّةُ اللهِ لَه.

* **[إن الله يحب التوابين].**

ب ـ زَيادَةُ الإيمَانِ: وإذا زاد الإيمان ازداد المؤمن رفعة في الآخرة، وصلح عملُه؛ لأنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت...

وَلَا تتَجَاوَزْ فِي هَذِهِ الخُطْبَةِ اثنتي عشرة دقيقة مع المقدمة والخاتمة والدعاء، وقبل أن تخطب بها ألقها في المساجد عبر كلمات وعظيّة.

وستَستفيد مِنَ ذَلِك عِدَّةَ أمُورٍ:

أولًا: تثبيت ورسوخ الموضوع في ذهنك.

ثانيًا: السلامة من التلعثم الذي يُسبّبه عدم الإعداد الجيّد والجديّ، ومقام الخطبة يستدعي القوة في الطرح، وعدم التلعثم والتلكّؤ، بخلاف الكلمات فالأمر فيها أهون بكثير، فالخطأ فيها مغتفر ومعتاد بخلاف الخطبة.

ثالثًا: نفع الناس في هذا الموضوع المهم.

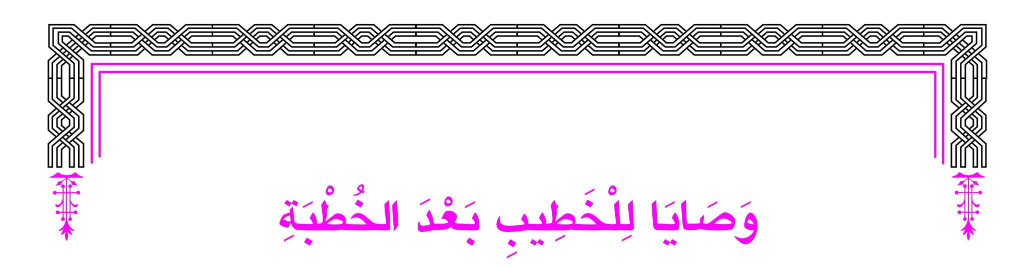
رابعًا: قلّة الهمّ في إعداد الخطب؛ لأنك قد ألْقيتَها قبل ذلك.

خامسًا: استدراك أو تصحيح ما طرحتَه في الكلمات، فكثيرًا ما يفتح الله لك أمورًا مهمةً لم تخطر على بالك أثناء الإعداد، ولم تُفتح لك إلا بعد أو أثناء الكلمة، فإذا ذهبتَ للبيت فقيِّد وصحح وأضف، وستلقي الخطبة ـ التي سيحضرها أضعاف من حضر كلمتك ـ وقد استوعبتَ الموضوع، واطمأن قلبك لطرحك، لا سيما والخطبة تسجل وتُنشر.

وَالأفضل: أن تكتب رؤوس الأركان والفروع في ورقة، وتضعها بين يديك؛ لضمان حسن الأداء، والسلامة من الخطأ.

واحرص على افتتاح خُطبتك بقصة أو حديث أو آية، تكون بوابة للدخول إلى أركان وفروع الخطبة.





وَصَايَا لِلْخَطِيبِ بَعْدَ الْخُطْبَةِ

هناك عدة أمور ينبغي لك أنْ تقوم بها بَعْدَ الخطبة، **مِنْها**:

أولًا: حمد الله تعالى على ما منّ به عليك من التوفيق في أداء الخطبة.

ثانيًا: الاستماع لخطبك بعد أن تُلقيها، استماع ناقدٍ ومتصيّد للأخطاء، وباحثٍ عن الجوانب الإيجابيّة لتعزيزها وترسيخها، وعن الجوانب السلبية لتلافيها والبعد عنها.

وَكُلُّ هَذَا:

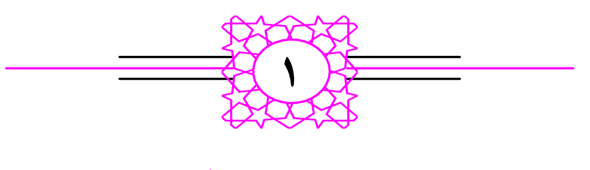
أولًا: إجلالًا لمقام الخطبة، فلها قدرها ومكانتها في الإسلام.

وثانيًا: احترامًا للمصلين الذين جاؤوا طاعة لربهم، وتلبيةً لنداء خالقهم، وحبًّا لسماع ما عندك.



نَصَائِحُ عَامَّة لِلْخَطِيبِ وَالدَّاعِي إلَى اللّٰهِ

إليك ـ أخي خطيب الجمعة ـ هذه النَّصائح التي ما هي إلا تذكيرٌ لي ولك بها



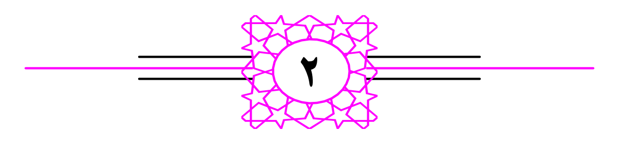
بَشِّرْ وَلا تُنَفِّرْ

الخَطِيبُ المُوَفَّقُ النَّاجِحُ: هو الذي يُبَشِّرُ ولا يُنَفِّرُ، ويبثّ في الناس روح الفأل والأمل، الذي يُزيل غبار القنوط والكسل، ويحثّ على الاجتهاد والعمل.

إِيَّاكَ ـ أخِي الخَطِيب ـ أن تكون مواضيع خطبك تحوم حول المآسي والمصائب، والسَّلبيات التي قد تقع في كل زمان ومكان؛ بل اجعل جلّ خطبك في الفأل وذكر النماذج المشرقة في الأخلاق والسلوك والأشخاص، ليتخذ الناس هذه الأخلاق والسلوك وهؤلاء الأشخاص قدوةً ونبراسًا لهم.

وإنْ رأيتَ خطأ فلا بأس بالتنبيه عليه وتحذير الناس منهم.





اجْعَلْ نُصْبَ عَيْنَيْكَ عَامَّةَ النَّاسِ

اجْعَلْ ـ رَعَاكَ اللهُ ـ **نُصْبَ عَيْنَيْكَ عَامَّةَ النَّاسِ**: فهم الأحق والأولى بخطبك ومواعظك؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ لِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﵁ لَمَّا جُعِلَ إمَامَ قَوْمِه: «**وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ**»[1].

أي: راعِ حالَ الأضعف، وصلِّ صلاةً لا تَشُقُّ عليهم، ومراعاةُ ضعاف الأفهام ليس بأقلِّ أهمية مِن مراعاة ضعاف الأجسام.

وأما إذا راعيت نُخَبَهُم وخوَّاصهم، ومُحبيك وطلابك ولم تهتمّ بعامّة الناس: فإنّ ذلك سيؤدّي بك إلى **عدة محاذير**:

الأَوَّلُ: التكلف في اختيار الألفاظ، وتصنع السَّجْع والمواضيع التي تُناسب مستواهم دون الأعمّ الأغلب من العامة ونحوهم.

الثَّانِي: حرمان العامة مِمَّا ينفعهم من المواعظ ومُعالجة القضايا الاجتماعيّة؛ لأنك انشغلت بما يهم خواصهم، فهم يرغبون سماع الحديث عن دقائق العلوم والاستنباطات، والجديد والغريب، وبعضهم يرغب سماع الحديث عن السياسة والإغراق في الواقع، ولن ينفعهم ذلك في دينهم ولا دُنياهم.

---

(١) رواه أبو داود (٥٣١)، وابن ماجه (٩٨٧)، وأحمد (١٧٩٠٦)، وغيرهم، وصححه الألباني.

الثَّالِثُ: فساد النيّة، فبدلًا من أن تكون خالصةً لوجه الله، أصبحتْ مشوبةً بمراءاة الخاصة ومُحبيك، والنظر إلى ما يُعجبهم ويُرضيهم.

فَحِينَمَا تَرَى إعْجَابَ النَّاسِ بِخُطَبِك، وَتَسَابُقَهُمْ إلى الحُضُورِ وَالاسْتِمَاعِ إليهَا، لا شَكَّ أَنَّك سُتَرَاعِيهِمْ، وَتَخْطُبُ بِمَا يُرْضِيهِمْ.

وَحِينَهَا يَنْزِعُ اللهُ تَعَالَى مِنْكَ البَرَكَةَ وَالقَبُولَ، وَالنَّفْعَ وَالفَائِدَة.

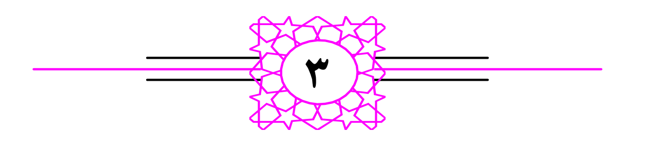
وَالوَاجِبُ عَلَيكَ: أنْ تَخْطُب والعامةُ أهم المستهدفين، فهم الذين بأمسّ الحاجة إلى علمك، وهم الذين لن يسمعوا - غالبًا - إلا منك، أمَّا طلابُ العلمِ فإنْ لم يستمعوا إليك استمعوا إلى غيرك.

بل إنَّ بعضَهم يستمعُ استماعَ ناقدٍ ومدقّقٍ، بخلاف العامَّة، فهم يستمعون استماعَ مُتَلهفٍ مُنقادٍ، **فَأَيُّ الفَرِيقِينِ أحَقُّ بِالاهْتِمَامِ وَالعِنَايَة؟**

وَعَلامَةُ ذَلِكَ: أنَّك تجدُ العامِّيَّ وكبيرَ السنِّ يُسلِّمُ عليك بعْدَ الصَّلاةِ وهو يكادُ يبكي تأثُّرًا وإعجابًا بما قلْتَ، وأما المتخصِّصُ فربَّما سلَّم عليك ليستدركَ عليك، **وَرُبَّمَا قَالَ لَكَ:** خطبتك عصماء، ولكن ليتك قلْتَ كذا، أو ليتك لم تقل كذا!!

ولا يعني اهتمام الخطيب بنفع العامَّة ألا يتطرق لمسائل مهمة قد تكون فوق مستوى كثير منهم، والتي قد يستفيد منها بعض المتخصصين كطلاب العلم أو المسؤولين ونحوهم.

❁ ❁ ❁



إيَّاكَ وَالإعْجَابَ بِنَفْسِكَ أو بِمَدْحِ النَّاسِ لَكَ

حِينَمَا يَصْعَدُ خَطِيبُ الجُمُعَةِ عَلَى المِنْبَرِ، ويرى جموعَ النَّاس قد حضروا عنده، وقصدوه وأقبلوا إليه، ويرى مِن بينهم **العَالِمَ والطَّبِيبَ والكَبِيرَ والقَاضِيَ والغَنِيَ والمَسْؤول**: فقد يُداخله العُجْب بنفسِه، لا سيَّما إذا عَلِمَ أنَّ كثيرًا مِنْهم قد حضروا لأجلِه، فكان لزامًا على الخطيب الحصيف أنْ يستعيذَ بالله مِن العُجْب والغرور، وأنْ يجاهدَ نفسَه كلَّ جمُعةٍ في التَّخلص مِن العُجْب ورؤية النَّفس، وأنْ يرجعَ الفضْلَ إلى الله تعالى، الذي أقبلَ بالنَّاس إليه.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «**إذَا جَلَسَتْ لِلْنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِك، وَلَا يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيك؛ فإنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَك، وَاللهُ يُرَاقِبُ بَاطِنَك**»[(١)].

وَيَنْبَغِي الحَذَر: مِن الإعجاب بمدح الناس لك؛ فإنّ كثيرًا من الناس إذا مدحوا أسرفوا، وأنت أعلم بنفسك!

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ: «والمحنة العظمى مدائح العوام، فكم غرَّتْ!»[(٢)].

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾» (٦٦/٢)، والأثر أخرجه عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى ٤٦٥هـ)، في كتابه: «الرسالة القشيرية» (٣٣١/١): عن أبي حفص رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «صيد الخاطر» (٦٧).

وليس عيبًا أن تفرح بثناء النَّاس عليك أو على خطبك، **فقد قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ** ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ **قَالَ**: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»[(١)].

فإِذَا عَمِلَ المؤمنُ «الْعَمَلَ للهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ»[(٢)].

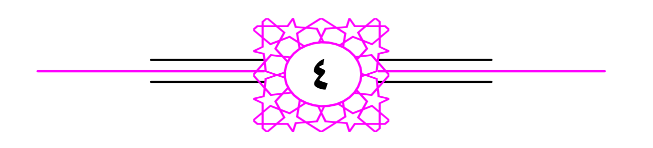
إِنَّمَا العَيبُ وَالإِثْمُ: إذا دخلك العُجْب بمدحهم، ففرحت بجهدك وعملك، ونسبت الفضل إلى نفسك، ولم يكن فرحك بفضل الله ورحمته وكرمِه الذي ساق الخير لك، وحبَّبه ويسّره لك.

وَعَلامَةُ إصَابَتِكَ بِدَاءِ العُجْبِ: الاستنكافُ من النقد، ومُجافاةُ مَن يلاحظ عليك ما يراه ملحظًا، وكره نصح النَّاصح.



(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب (١/ ٨٤).



تَكَلَّمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ

أَسْمِعْ مَن جاؤوا يستمعون إلى ما عندك ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، واسْأَلْ نفسَك أثناء الإعداد: ماذا سأُفيد النَّاسَ في دينِهم وأخلاقِهم إذا خرجوا مِن المسجد؟

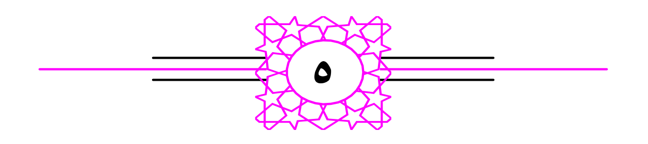
وما لَمْ يستفيدوا مِنْه فلا تذكره.

فَمَاذَا سَيَسْتَفِيدُونَ لو تكلّمت في دقائق السِّياسة مثلًا، أو الإكثار من الحديث عن مصائب المسلمين؟

وَمَاذَا سَيَسْتَفِيدُونَ من طرحي لموضوع يكتنفُه الغموض، بسبب حساسيّته وخوفي من التصريح به على نفسي، فآتي بالإشارات والمعاريض التي لا يفهمها إلا خاصة الخاصة؟

وَمَاذَا سَيَسْتَفِيدُونَ حِينَمَا أَنْصَحُ الحَاكِمَ أَمَامَ النَّاسِ، تَصْرِيحًا أو تَلْمِيحًا، وَنَصِيحَةُ الحَاكِمِ عَلنًا قَدْ نَهَى السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ؛ لأَنَّهُ يُثِيرُ الفِتَنَ غَالِبًا، وَيُلْحِقُ بِالخَطِيبِ الضَّرَرَ.





عَلَيكَ بِكُتُبِ الأدَبِ وَالبَلاغَةِ وَالشِّعْرِ

احْرِصْ عَلَى كُتُبِ الأدَبِ وَالبَلاغَةِ وَالشِّعَرِ؛ فإنّ الخطيب أحوج ما يكون إليها.

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ: «مِن العوام من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر، وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ، ليجمع مطالبهم». اهـ[١].

«وإنك لترى المعنى الشريفَ إذا لم يُمنَح من الألفاظ ما يناسبُه أصبح لفظُه له قبرًا، ولم يَطْرُقْ لسامعه فكرًا، وبالعكس قد تغطِّي الألفاظُ الحسنة في حال تركيبها بَسَائِطَ المعاني ومبتذَلَها»[٢].

قَالَ العُلَمَاءُ: «اللَّفْظُ أغلَى مِن المعنى ثمنًا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبًا؛ فإنَّ المعانيَ موجودةٌ في طباعِ النَّاس، يستوي الجاهلُ فيها والحاذقُ، ولكنَّ العمل على جودة الألفاظ، وحسُنِ السَّبْك، وصِحَّةِ التَّأليف»[٣].

وَمِنْ فَوَائِدِ القِرَاءَةِ فِي هَذِهِ الكُتُبِ: أنها تُثري العقل بمخزون كبير من الكلمات والعبارات والحِكَم، التي مِن خلالِها ينطلقُ الخطيبُ

(١) «صيد الخاطر» (١٣٨).

(٢) «أصول الإنشاء والخطابة»، لابن عاشور (ص٩١).

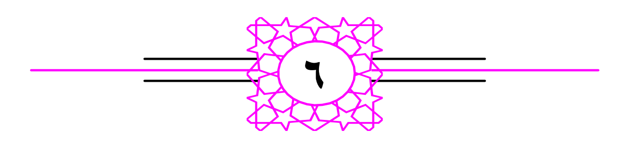
(٣) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه»، لابن رشيق القيرواني (المتوفى عام ٤٦٣هـ) (١/ ١٢٧).

بالحديث دونَ تعثُّر، ودونَ توقف بسبب نسيان كلمة كان قد زوَّرها في صدرِه، فهو يمتلك العديد من الكلمات المترادفة، فإذا عزبت عنه كلمة ففي جعبتِه الكثير من مرادفاتِها، وإذا نسي حكمةً وجد في مخزونِه حكمًا كثيرةً مثلها وتقوم مقامها، وإذا نسي آية أو حديثًا انتقل إلى قصة أو موقف أو حكمةٍ تسد الفراغ الذي أحدثه هذا النسيان.

قَالَ الطَّاهِرُ ابْنُ عَاشُور رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الخطيب لا يستغني عن الاستكثار من استحضار معانٍ صالحة في أغراض شتَّى يحتاج إليها في الاستدلال على فضل شيء أو ضدِّه؛ لتكون له عونًا عند الاندفاع في الخطابة، وتخفيفًا عن ذِهْنِه مِن شدَّة التَّحضير، ولأنَّه إنْ لم ينفتح له بابُ القول في غَرَضٍ ارتجاليٍّ يأخذْ من تلك المعاني ما يدفع عنه عيبَ الإرْتَاج والحُبْسَة». اهـ[1].



(١) «أصول الإنشاء والخطابة» (ص١٢٣).



الحَذَرُ مِن الإطَالَةِ فِي الخُطْبَةِ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَصِّرُ الخُطْبَةَ، وكذلك فَعَل أصحابُه رضي الله عنهم ومَنْ جاءَ بعدهم مِن سلفِ الأمة رَحِمَهُم اللهُ تعالى.

قَالَ أَبُو وَائِلٍ رحمه الله: خَطَبَنَا عَمَّارٌ رضي الله عنه، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»[(١)].

قولُه: (**مَئِنَّةٌ**): أي: علامة، (**مِنْ فِقْهِهِ**): «أي: مما يُعرف به فقه الرجل، وكلُّ شيء دل على شيء فهو مئنة له.

وإنما كان قصر الخطبة علامة على فقه الرجل؛ لأنَّ الفقيه هو المطلع على حقائق المعاني وجوامع الألفاظ، فيتمكَّن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة، ولذلك كان من تمام هذا الحديث: «**فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»، فشبَّه الكلام العامل في القلوب الجاذب للعقول بالسحر؛ لأجل ما اشتمل عليه من الجزالة وتناسق الدلالة، وإفادة المعاني الكثيرة، ووقوعه في مجازه مِن التَّرغيب والتَّرهيب ونحوِ ذلك، ولا يقدر عليه إلا مَنْ فَقِهَ فِي الْمَعَانِي وَتَنَاسُقِ

(١) رواه مسلم (٨٦٩).

دَلَالَتِهَا؛ فإنه يتمكَّن من الإتيان بجوامع الكلم، وكان ذلك من خصائصه ﷺ فإنه أوتي جوامع الكلم.

وَالمُرَادُ مِنْ طُولِ الصَّلاةِ: الطول الذي لا يدخل فاعله تحت النهي، وقد كان يصلي ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِسُورَتِي: الجمعة والمنافقين، وذلك طول بالنسبة إلى خطبته وليس بالتطويل المنهي عنه»(١).

«فلا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، وكلَّما قصَّر كان أحسن **لوجهين:**

الوَجْهُ الأَوَّلُ: ألا يمَلَّ الناس.

الوَجْهُ الثَّانِي: أن يستوعبوا ما قال؛ لأن الكلام إذا طال ضيَّع بعضُه بعضًا، فإذا كان قصيرًا مهضومًا مُسْتَوعبًا انتُفع به»(٢).

«**عَنِ الْمَدَائِنِيِّ؛ قَالَ:** قِيلَ لِإِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: «**مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةَ الْكَلَامِ**»، **قَالَ:** «**أَفَتَسْمَعُونَ صَوَابًا أو خَطَأً؟**» قالوا: «**لَا؛ بل صَوَابًا**»، **قَالَ:** «**فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ**»، قَالَ: «**وَمَا رُمِيَ إِيَاسٌ بِالْعِيِّ قَطُّ، وَإِنَّمَا عَابُوهُ بِالْإِكْثَارِ**، وَكَانَ يُقَالَ: **بِالْبَصْرَةِ شَيْخُهَا الْحَسَنُ، وَفَتَاهَا إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ**»(٣).

قَالَ الجَاحِظُ مُسْتدركًا عَلَيه: وليس كما قال، للكلام غايةٌ، ولنشاط السَّامعين نهاية، وما فَضَل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال،

---

(١) «سبل السلام»، للصنعاني (١/ ٤٠٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين»، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٤/ ٧٩).

(٣) أخرجه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى ٣٣٣هـ)، في كتابه: «المجالسة وجواهر العلم» (١٨٤٨)، وبنحوه مختصرًا في: «كتاب الصمت»، لابن أبي الدنيا (٧١٦).

والملال فذلك الفاضل هو الهَذَرُ، وهو الخَطَلُ[١] وهو الإسهاب الذي سمعتُ الحكماء يعيبونَه. اهـ[٢].

وما أجمل قول القائل: «**قَلِيلٌ يُوعَى، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُنْسَى**».

وَقِصَرُ الخُطْبَةِ فِيهِ ثَلاثُ فَوَائِدَ نَفِيسَةٍ:

الأُولَى: اتِّبَاعُ السُّنَّةِ.

الثَّانِيةُ: سُهُولَةُ تَحْضِيرِ الخُطْبَةِ، وَحُصُولُ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ عِنْدَ تَحْضِيرِهَا، وَأَثْنَاء إِلْقَائِهَا، وَبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْهَا.

وكثيرٌ مِن الخُطَباء كانُوا يَجِدُون همًّا للخُطْبة، مِن فَجْر الجُمُعة أو قَبْله، ويَنْشَغِلون ذِهْنيًّا في التَّحْضِير لَهَا، وَحِينَمَا قَصَّروا الخُطْبة، ولم يَتَجَاوَزُوا فِيْها عَشْر دَقَائق، زَالَ كُلُّ الْهَمِّ أو جُلُّه.

الثَّالِثَةُ: التَّخْفِيفُ عَلَى المُسْتَمِعِينَ، فَيَكَادُ يَتَّفِقُ النَّاسُ جَمِيعُهُمْ عَلَى الارْتِيَاحِ لِلَّذِي يَقْصُرُ خُطْبَتَهُ، وَالنُّفْرَةِ مِمَّن يُطِيلُهَا.

والوقتُ المناسب للخطيب وللمستمعين هو بيْنَ عشْر دقائق إلى ربع ساعة تقريبًا؛ فإنّ النَّاس يكادون يتَّفقونَ على أنَّ قِصَرَ الخُطْبَةِ أحبُّ إليهم وأخفُ عليهم مِن طولِها.

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى قِصَرِ الخُطْبَةِ:

١ ـ عَدَمُ الاسْتِطْرَادِ والِاسْتِغْرَاقِ فِي التَّفَاصِيلِ:

بهدف شدّ الانتباه وإثارة الحماس، فهذا يؤدي إلى إطالة الخطبة،

---

(١) **الهَذَرُ**: أي: كثرةُ الكلام بما لا ينبغي، **والخَطَلُ**: الخِفَّةُ، والسُّرْعَة، والكلامُ الفاسِدُ الكثيرُ.

(٢) «البيان والتبيين» (ص٦٨).

واحتمال الوقوع في الخطأ، ونسيان الأشياء الضرورية في الخطبة، فإذا انتهيت من طرح ما تريد فلا تكرر بهدف الإقناع ولفت الانتباه.

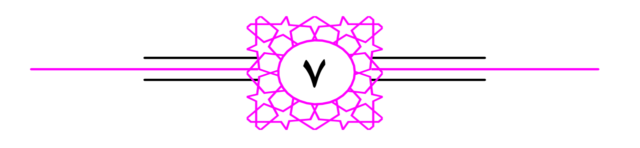
«فإن المتكلِّم أو الكاتب أو الخطيب قد تدعوه إلى الاستطراد دواعٍ كثيرة، ليلقي من المعاني التي يرى الداعي لإلقائها موجودًا، ويخشى أن لا يجد لها مناسبةً غير ذكرِها عند نظيرها، وذلك كاستطراد الدعاء في طوالع الرسائل، أو استطراد قِصَّة أو حادثة أو شِعْر في أثناء رسالة أو خطبة، وتلك سُنَّةٌ قديمة شائعة بين الكُتَّاب والخطباء، فيجب أن يكون ذلك الاستطرادُ شديدَ التعلق بالموضوع، إما لثناءٍ أو بيانٍ أو تحسينٍ أو إظهارِ إمكانِه أو تنظيرِه أو تذكيرٍ بسابقٍ أو نحو ذلك، فإن عري الاستطرادُ عن شيءٍ من العلاقات المقبولة الواضحة صار أشبه بالهَذَيان»[(١)].

٢ ـ عَدَمُ ذِكْرِ مُرَادِفَاتِ الكَلِمَاتِ بِلا حَاجَةٍ:

مِثَالُ ذَلِكَ: قول الخطيب: **(العَمَلُ أَفْضَلُ مَن الكَسَلِ)**: يكفي، فإذا قال: أفضل وأنفع وأحسن، فهذا عيٌّ عند أهل البلاغة، وإطنابٌ بلا حاجة.



(١) «أصول الإنشاء والخطابة»، لابن عاشور (ص٧٦).



ابْتَعِدْ عَنْ الغَرِيبِ مِنَ الكَلامِ

تَجَنَّبْ الوَحْشِيَّ وَالغَرِيبَ مِنَ الكَلامِ: فالنَّاس لن يحتاجوا مِنْك مثل هذا الكلام، ولن يُفيدهم في شيء، وقد يكون للنَّفس حظوظٌ في إيرادِها والإكثارِ مِنْها.

وقد حذّر الأدباءُ والبلغاءُ المعتبرون من الوحشي وغريب الكلام.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ المَهْدِيِّ لِكَاتِبِه: «إياك وتتبع الوحشي من الكلام؛ طَمعًا في نيل البلاغة؛ فإنَّ ذلك هو العِيُّ[1] الأكبر، عليك بما سَهُـلَ مع تجنبك ألفاظ السُّفَّل»[2].

وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ: «إذا كانت اللفظة خشنة مستغربة: لا يعلمها إلا العالم المبرز، والأعرابي القُحُّ؛ فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت في غير موقعها، وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها».اهـ[3].

وصدق القائل:

إنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ ... فَفِي البَلاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيْها

فَلا تَظُنَّ: «أنَّ البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ، والتعمق في المعنى، فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى، والبليغ ما

(١) **عِيًّا، وعَيَاء**: أي: عجز عنه فلم يستطع بيان مراده منه.

(٢) «العمدة»، لابن رُشيق (١/ ٢٠٢).

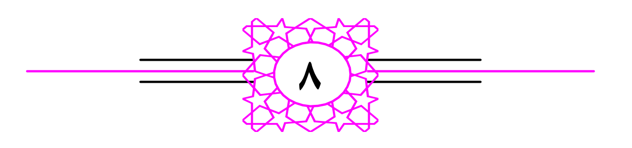
(٣) «العمدة» (١/ ٤٤).

بلغ المراد، ومن ذلك اشتقا؛ فأفصح عن معانيه، ولم يحوج السامع إلى تفسير له بعد ألا يكون كلامًا ساقطًا، ولا للفظ العامة مشبهًا.

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ البَلاغَة: هي أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى، فلا يكون اللفظ أسبق إلى القلب من المعنى، ولا المعنى أسبق إلى القلب من اللفظ»[1].



(١) «البرهان في وجوه البيان»، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم الكاتب (١٦٣).



ابْتَعِدْ عَنْ تَكَلُّفِ السَّجْعِ

نَهَى الشَّارِعُ الحَكِيمُ عن تكلّف السجْع، وكرهه الأدباءُ والبلغاءُ؛ «لأنَّ السَّجْعَ لا يخلو عن تكلُّف ألفاظٍ تحجُب ذهن السامعين عن كمال فَهْم المعاني، فإن اغتُفِر فيها السَّجْعُ فإنَّما هو ما يقع عَفْوًا بلا تكلُّف؛ أي: السَّجْع الذي يطلبُ المتكلِّمَ لا الذي يطلبُه المتكلِّمُ»[1].

جاء في «الصحيحين»[2] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ **فَقَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ**: «**أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ**[3] **عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا، وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ**»، فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ[4]، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[5]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ**»، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ.

---

(١) «أصول الإنشاء والخطابة»، لابن عاشور (ص١٢٦).
(٢) البخاري (٥٧٥٩)، ومسلم (١٦٨١).
(٣) **الغُرّة**: العبْد نَفْسُه أو الأمة.
(٤) أي: ولا صاح عند الولادة ليعرف به أنه مات بعد أن كان حيًّا.
(٥) أي: يهدر ولا يضمن.

«**قَالَ العُلَمَاءُ**: إنما ذم سَجْعَه **لوجهين**:

أَحَدُهُمَا: أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله.

وَالثَّانِي: أنه تكلفه في مخاطبته.

وهذان الوجهان مِن السَّجْع مذمومان، وأما السجْع الذي كان النَّبيُّ ﷺ يقوله في بعض الأوقات، وهو مشهور في الحديث فليس من هذا؛ لأنه لا يعارض به حكم الشرع، ولَا يَتَكَلَّفُهُ، فلا نهي فيه؛ بل هو حسن»[١].

وَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ: «أنّ مِن أوصاف البلاغة السَّجْع في موضعه، وعند سماحة القول به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته فذلك جهل من فاعله، وعي من قائله»[٢].

«إنَّ السَّجْعَ في خطابة هذا العصر ـ عصر الخلفاء الراشدين ـ كان شيئًا عارضًا؛ إذ كان الرسول ﷺ: لا يستعمله في خطابته، وكان ينفرُ منه حين يلهج به أحد محدثيه، كراهية للتشبه بالكهان في سجْعهم، وعلى ذلك صار الخلفاء الراشدون والصحابة من بعدهم»[٣].

قَالَ شَيخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا الْبَلَاغَةُ الْمَأْمُورُ بِهَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾ [النِّسَاءِ: ٦٣]، هِيَ عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، فَيَذْكُرُ مِنَ الْمَعَانِي مَا هُوَ أَكْمَلُ مُنَاسَبَةً لِلْمَطْلُوبِ، وَيُذْكَرُ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا هُوَ أَكْمَلُ فِي بَيَانِ تِلْكَ الْمَعَانِي.

(١) «شرح صحيح مسلم»، للنووي (١١/ ١٧٨).
(٢) «البرهان في وجوه البيان»، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم الكاتب (١٦٥).
(٣) «الخطابة»، إعداد: جامعة المدينة العالمية (١٥٢).

فَالْبَلَاغَةُ بُلُوغُ غَايَةِ الْمَطْلُوبِ، أَوْ غَايَةِ الْمُمْكِنِ، مِنَ الْمَعَانِي بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ، فَيَجْمَعُ صَاحِبُهَا بَيْنَ تَكْمِيلِ الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ، وَبَيْنَ تَبْيِينِهَا بِأَحْسَنِ وَجْهٍ.

وَأَمَّا تَكَلُّفُ الْأَسْجَاعِ وَالْأَوْزَانِ، وَالْجِنَاسِ وَالتَّطْبِيقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَكَلَّفَهُ مُتَأَخِّرُو الشُّعَرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ، وَالْمُتَرَسِّلِينَ وَالْوُعَّاظِ، فَهَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ دَأْبِ خُطَبَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالْفُصَحَاءِ مِنْهُمْ، وَلَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَهْتَمُّ بِهِ الْعَرَبُ.

وَغَالِبُ مَنْ يَعْتَمِدُ ذَلِكَ يُزَخْرِفُ اللَّفْظَ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ مَطْلُوبَةٍ مِنَ الْمَعَانِي؛ كَالْمُجَاهِدِ الَّذِي يُزَخْرِفُ السِّلَاحَ وَهُوَ جَبَانٌ». اهـ[١].

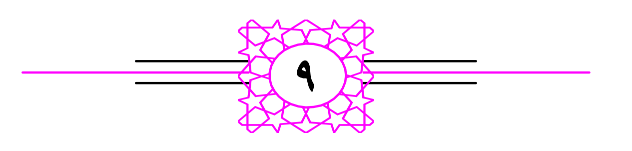
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَتِ الْفَصَاحَةُ التَّشَدُّقَ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّقْعِيرَ فِي الْكَلَامِ، وَلَا سَجْعَ الْكَلَامِ، وَلَا كَانَ فِي خُطْبَةِ عَلِيٍّ وَلَا سَائِرِ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ تَكَلُّفُ الْأَسْجَاعِ، وَلَا تَكَلُّفُ التَّحْسِينِ الَّذِي يَعُودُ إِلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ، الَّذِي يُسَمَّى عِلْمَ الْبَدِيعِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْخُطَبِ وَالرَّسَائِلِ وَالشِّعْرِ». اهـ[٢].

فَدَعْ عَنْكَ تَكَلُّفَ السَّجْعِ؛ فَإِنَّ تَكَلُّفَهُ يُكَلِّفُكَ عَنَاءَ صِنَاعَتِه، وَيُكَلِّفُ عَلَى الْمُسْتَمِعينَ عَنَاءَ فَهْمِه، فَأَمَّا إِذَا جَاءَكَ سَهْلًا عَلَى خَاطِرِك، خَفِيفًا بِأَلفَاظِهِ عَلَى لِسَانِك، مَفْهُومًا لِمُسْتَمِعِه، فَهَذَا لا بَأسَ به.



(١) «منهاج السُّنَّة النبوية» (٨/ ٥٤ ـ ٥٥).

(٢) «المصدر السابق» (٨/ ٥٣).



العِنَايَةُ بِصَلاحِ المَظْهَرِ

عِنَايَةُ الخَطِيبِ بصلاح مظهره الخارجي لا يقل عن عنايته بباطنِه الدَّاخلي، وما صلاح أو فساد الظاهر إلا نتاج صلاح أو فساد الباطن، وصلاح مظهر الخطيب **يكون بما يلي**:

الأَوَّلُ: جمالُ لباسِه ونظافتِه، دون مبالغة أو إسراف.

الثَّانِي: جمالُ بدنِه بنظافتِه وطيب رائحتِه، وحلق أو تقصير شاربِه وإعفاء لحيتِه.

الثَّالِثُ: جمالُ وجهِه ببشاشتِه وابتسامتِه عند السَّلام على النَّاس بعْدَ الانتهاءِ مِن الخطْبة؛ فإنّ الابتسامةَ الصَّادقة، وطلاقةَ الوجه، وحسن البشاشة، تحبّب الناس بالخطيب وبخطبِه ونصائحِه، وهي عبادة لمن أخلص لله فيها، وهي السِّحر الحلال الجذَّاب، وهي التي تسْتولي على العقول والألباب، وصاحبُ البِشْرِ محمودةٌ أفْعاله، مقبولةٌ هنَّاته، بخلاف العابس الْمُقطِّب، الْمُتجهِّم الشَّاحب، فهو مِمَّن يُستعاذُ منه، وتَستولي على القلب كُرَبٌ، وضِيقٌ عند لِقَائِه.

أَخُو البِشْرِ مَحْمُودٌ عَلَى حُسْنِ بِشْرِه   وَلَنْ يَعْدِمَ البَغْضَاءَ مَنْ كَانَ عَابِسًا

قَالَ أَبُو حَاتِم رَحِمَهُ اللهُ: «البشاشةُ إدامُ العلماء، وسجيةُ الحكماء؛ لأنَّ البِشْرَ يُطفئُ نار الْمُعانَدة، ويُحْرِقُ هَيَجان الْمُباغَضة، وفيه تَحْصينٌ من الباغي، ومَنْجاةٌ من الساعي، ومَن بَشَّ للنَّاس وجهًا لم يكن عندهم بِدُون

البَاذِلِ لَهُم مَا يَمْلِكُ»[١].

وَمَنْ فَارَقَ البَشَاشَةَ: فَارَقَهُ النَّاسُ، «ولقاءُ النَّاسِ بِالتَّبَسُّمِ وطلاقة الوجه مِن أخلاق النبوة، وهو مناف للتَّكَبُّرِ وجالب لِلْمَوَدَّةِ»[٢].

فَكُنْ ـ أخِي الخَطِيب ـ: بَشُوشَ الطَّلْعَة، مُتَهَلِّلَ الْغُرَّة، وَضَّاحَ الْمُحَيَّا، حَسَنَ البِشْرِ، فَسَوفَ تَرَى انشراحَ الصَّدْر، وإقْبَالَ النَّاسِ إليك، وَطِيبَ ذِكْرِكَ عِنْدَهُمْ، وتَقبُّلَهُمْ لِتَوجِيهَاتِك ومَوَاعِظِك، والْتماسَهم الأعذارَ لأخطائِك وزلاتِك.

الرَّابِعُ: تواضُعُه وأدبُه في مشيه وصعودِه للمنبر، وجلوسِه عليه، وحسنُ استقبالِه للناس أثناء الجلوس والخطبة.

وَمِمَّا يُلاحَظُ: أنّ بعْضَ الخطباء إذا دخل يَخْطُرُ بِيَدَيْهِ[٣]، رافعًا رأسه، وإذا جلس قبل الخطبة جلس جلسةً يَظهر فيها أنه غير مبالٍ بالناس، وينشغل بتصفّح وجوه الناس، وإذا شرع في الخطبة جعل ينظر إلى الناس نظرات تُشعر بأنه غير مبال ولا مُكترثٍ بهم، وكأنه يُشعرهم بأنه شجاع وجريء، ويُخاطبهم بنبرة فيها حدّة ورفع صوت، موجهًا أوامره ونواهيه المباشرة لهم، وهذا الأسلوب لا تتقبله النفوس؛ بل تنفر منه.

الخَامِسُ: عدمُ مَسْحِ اللحية ولمسِها لغير حاجة، وعدمُ الإكثار من الالتفات خاصة أثناء الجلوس على المنبر؛ فإنّ ذلك يقلل من هيبة الخطيب، أو يُوحي بعدم اكتراثِه بِمَن أمامه.

---

(١) «روضة العقلاء» (٦٥).

(٢) «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٥/ ١٩٣).

(٣) **الخَطْر**: رفعُ الرَّجُلِ يديه في مشيه ووضعهما.

السَّادِسُ: الاستياك برفق وأدب لمن لا يرى بأسًا في ذلك[١]، وبعض الخطباء ـ هداهم الله ـ إذا دخلوا المسجد دخلوا وهم يستاكون بشكلٍ لافت، وبعضهم يستمر في استياكِه إلى قبيل الشروع في الخطبة، فتبقى بقيّةٌ من أجزاء السواك في فمه، فيخرج البقايا وهو يخطب، وهو أمرٌ مستقبح، وقد يُوحي إلى استهتاره بالناس وبمقام الخطبة العظيم.

السَّابِعُ: التقيّد بالسُّنَّة في اللباس بعدم الإسبال، وفي اللحية بإعفائها، فالخطيبُ قدوة، وكيف يقتدي النَّاس بمن يُخالف فعلُه قولَه، وكيف يتأثّر النَّاس بكلامِ مَن لم يُؤّثر كلامُه على نفسِه؟!

الثَّامِنُ: سكون البَدَن وقت الكلام؛ لأنه دليلٌ على سكون النَّفْس.

وكثيرًا ما تعرِض للخطباء في أوَّل اشتغالهم بالخطابة أفعالٌ وتصرُّفاتٌ خاطئة تصدُر عن غير اختيار، «فإن هم غفلوا عن مراقبة أنفسهم لإزالتها صارت لهم عوائدَ سيئةً، وقد نَهى الأدباءُ عن أمورٍ من ذلك؛ كالتَّنَحْنُح، ومَسْح اللِّحْية في أثناء الخطبة لا عند الشروع ـ على أنه يُغتفَر منه ما لا يَكثرُ، إذا طال الكلامُ جدًّا ـ وحكُّ الجِلْد، وفَتْلُ الأصابع، وكثرةُ حَرَكة الأيدي والبَدَن، والتمخُّط، وغيرُه»[٢].

قال أحد الشعراء يذمّ خطيبًا[٣]:

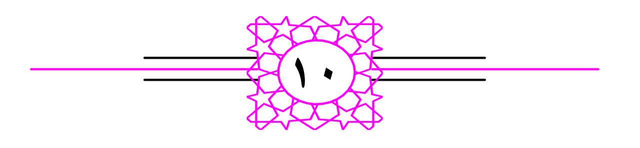
مَلِيءٌ بِبُهْرٍ والْتفاتٍ وسَعْلَةٍ … ومَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأَصَابِعِ

---

(١) لأنّ بعضَ العلماء: لا يرى اسْتحباب السواك عند إرادة الصلاة المفروضة في المسجد، ولا في محفلٍ من الناس، وعلى هذا فيستاك قبل دخول المسجد، وإذا دخل المسجد ينشغل بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن، وقد بسطتُ ـ بفضل الله تعالى ـ القول في ذلك في كتابي: «بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ» (ص١٠٣ ـ ١٠٥).

(٢) «أصول الإنشاء والخطابة»، لابن عاشور (ص١٤١).

(٣) «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٧٣). معنى **سَعْلَة**: هو السُّعال: (الكَحة)، **وعُثْنُون**: هي اللَّحية.



تَفَاوُتُ زَمَنِ تَحْضِيرِ الخُطْبَةِ

زَمَنُ الإعْدَادِ لِلْخُطْبَةِ: يختلف حسب ثقافة وعلم الخطيب، وعلى حسب المادة التي سيلقيها، فلا تخلو المادةُ من **نوعين**:

الأوَّلُ: أنْ تكون علميّةً؛ كالمسائل الفقهية أو العقدية وتأصيلها، فهذه يجب أنْ تُعطى زمنًا يليق بمقامها، ولا ينبغي الاستهانة بها، وتحضيرها قبل الخطبة بساعات قليلة.

الثَّانِي: أنْ تكون وعظيةً أو اجتماعية ونحوها، فزمن إعدادها يكون قصيرًا في الغالب.

وَنَصِيحَتِي لِلْمُسْتَجِدِ فِي الخَطَابَةِ ـ مِمَّنْ لَمْ يَمْلِكْ الخِبْرَةَ وَالعُلُومَ الكَافِية ـ: أنْ يستفيد في البداية مِن خُطَبِ مَن سَبَقَه، ويكون الذي يستفيد منه تتصف خطبه **بثلاث صفات**:

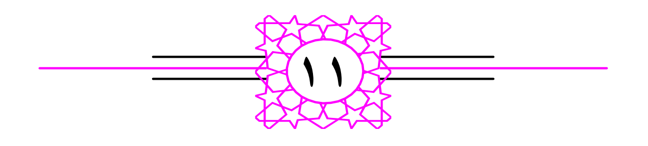
الأُولَى: أنْ تكون قصيرةً، حتى لا يشق عليه إلقاؤها.

الثَّانِيةُ: أنْ تكون سليمةً نحويًّا وعلميًّا.

الثَّالِثَةُ: أنْ تكون بعيدة عن التكلُّف لفظًا ومضمونًا.

ولا بأسَ مع مرور الأيام أنْ يُعَدِّل أو يزيد ما يراه مُناسبًا، ثم يُحاول بعد ذلك أنْ يكتب الخطبة بنفسِه، مستفيدًا مِمَّن سَبَقَه.

❁ ❁ ❁

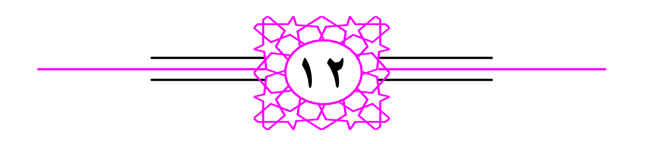


البُعْدُ عَن الأوَامِرِ المُبَاشَرَةِ لِلْمُسْتَمِعِينَ

تَجَنَّبْ ـ حفظك الله وسدّدك ـ الألفاظَ التي فيها أوامر للسَّامعين دونَ المُـتحدِّث، مثل: افعلوا أو لا تفعلوا، واستعمل بدلها: لنفعل، ولنترك، ونحو ذلك، فهذه الصَّيغة تُشعر السَّامعين بتواضعِك، وبحبّك الخير لهم كما تُحبّه لنفسِك، وأنَّك لستَ فَوْقَهم لا دينًا ولا خُلُقًا.

وَالخَطِيبُ المُوَفَّقُ: يُوَجِّه كلامه لنفسه قبل أن يوجِّهه لغيرِه، ويعظ نفسَه قبل أن يعظ غيْـرَه، فيكون كلامه في خطبه موجَّهًا إليه هو أولًا قبل أن يُوجِّهه للنَّاس، وإذا فعلَ ذلك رفعَه اللهُ، ونفعَه بما يقول، وزاده هدىً وقبولًا وصدقًا.



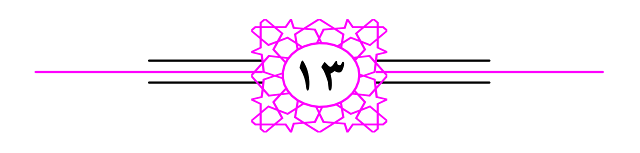


مَتَى يَحْسُنُ وَيَقْبُحُ التَّقْلِيْدُ فِي الخَطَابَةِ؟

لَا تُقَلِّدْ خَطِيبًا مُعَيَّنًا في أُسلوبِه أو مادَّتِه، فقد يُناسبُه ما لا يُناسبُكَ، والتَّقليد يُفسد إبداعَك ومواهبَك، فاخطبْ حسب ما أعطاك ربُّك مِن قدرات ومواهب وعِلْم.

أمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُبْتَدِئ: فلا بأسَ بأنْ يستفيد من غيره أسلوبًا ومادّةً، ولكن ينبغي ألا يكون نسخةً منه؛ بل يجعله عونًا له على الرقي بنفسه.





لَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ الحُضُورِ عِنْدَكَ، وَلَا تَفْرَحْ بِكَثْرَتِهِم

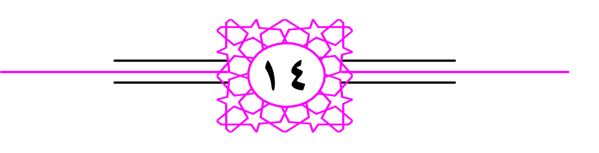
اعْلَمْ ـ نَفَعَ اللهُ بِكَ ـ: أنّ النَّفس ترغب في كثرة المستمعين والحاضرين، وخاصَّة مِن أقاربِكَ وأصدقائِك، وربَّما سألتَ عن حضورِهم، أو عاتبتَ ـ ولو بقلبِكَ ـ على عدمِ حضورِ أحدِهم، فجاهدْ نفسَك على التَّخلص مِن هذا الداء، فعدم حضورِه عِنْدَك لا يعني بأنَّك ضعيف، ولكن لأنَّه يجدُ الرَّاحة والفائدة عِنْدَ الخطيبِ الآخر، أو لقربِه مِن بيتِه، أو لأسبابٍ أخرى.

وَالخَطِيبُ الصَّادِقُ: يفرحُ إذا سَمِعَ أنَّ النَّاس يحضرون عند غيرِه، ويدعو اللهَ له بالسَّداد والنَّفع، ويُثني عليه إذا عَلِمَ عنه خيرًا.

وَإِذَا رَأَيتَ قِلَّةَ الحُضُورِ عِنْدَكَ وَعُزُوفَ النَّاسِ عَنْكَ: فحاسبْ نفسَك، فقد يكون الخلل منك، إما مِن ضَعْفِ أسلوبك، أو مِن ضعفِ المادة التي تطرحها، أو بسبب إطالتِك للخُطْبة، أو ضعفِ إخلاصِك، أو لغير ذلك من الأسباب.

واستنصح إخوانًا صادقين ناصحين، واطلبْ مِنْهم الحضورَ عندك، أو سماعَ خطبتِك، واطلبْ مِنْهم بصدقٍ أن يُعطوك ملحوظاتِهم وآراءَهم، وسوف تخرج بنتائج نافعة بإذن الله تعالى.





أَهَمِّيَّةُ الإِعْدَادِ الجَيِّدِ

إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ يَرْتَجِلُ الخُطْبَة: فعليك بالإعداد الجيد لها، ولا تتهاون أبدًا في ذلك، وإن بَدَا لك أنَّ الموضوع يسيرٌ وسهلٌ، وقد تطرّقتَ إليه سابقًا.

وَبَعْضُ الخُطَبَاءِ: لا يُعدّ للخطبة عدتها، ولا يعي أهميّتها، ويحشو فيها من الكلام ما تنبو عنه الآذان، ويجيء بكلام أشبه بِالهَذَيَانِ، ويصدق في هؤلاء قول الشاعر:

وَيَرْتَجِلُ الكَلامَ وَلَيسَ فِيهِ سِوَى الهَذَيَانِ مِنْ حَشْدِ الخَطِيبِ

فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ عَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ: أن يستعدّ للخطبة أتم الاستعداد، «وأنْ يتقي خيانة البديهة في أوقات الارتجال، ولا يَغُرُّهُ انقيادُ القولِ له في بعض الأحوال، فيركب ذلك في سائر الأوقات، وعلى جميع الحالات»[١].

وإذا كنت مِمَّن يقرأ من ورقة فاحذر أنْ تُداوم على أخذ خطب غيرِك، فقد يُرخَّصُ لك في البداية، لكن لا عذر لك بعد طول الخبرة والتجربة.

وَالإِعْدَادُ الجَيِّدُ: مِن ألذِّ الأمور عند الخطباء؛ بل إنهم يتشوقون ليوم الجمعة لطرح ما أعدُّوه وتعبوا عليه.

(١) «البرهان في وجوه البيان»، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم الكاتب (١٦٨).

وأما المداومةُ على عدم الإعداد، والاكتفاء بخطب الآخرين، ففيه سلبيّاتٌ كثيرةٌ، **منها**:

أولًا: أنه يُسبب ضعف الهمة، وخور العزيمة، ومهانة النفس، حيث تكتفي بتقليد الآخرين.

ثانيًا: أنّه يُفقدك الحماس والنشاط واللذة، فتُصبح كأنها همٌّ تُريد إزاحته عنك، ويُؤثر هذا على أُسلوبك وقبول الناس لك.

ثالثًا: أنّ الكثير من الناس يَشعرون بأنّ الخطيب لم يُعدّ الخطبة بنفسِه، وإنما نقلها عن غيرِه، وذلك لاختلاف أسلوب ومادّة الخطبة عن أسلوبه ومُسْتواه، فلا يكون للخطبة قبولٌ عندهم.

رابعًا: أنَّك لن تنتفع منها، وإن انتفعت فهو نفعٌ يسير، فالعمل الذي لا يجتهد فيه صاحبه بحثًا وإعدادًا سرعان ما يُنسى ويتلاشى.

ولن تتقدّم، ولن يزداد طموحُك، وتعظم همَّتُك، ويُنتفع من علمك ـ إلا أنْ يشاء الله تعالى ـ.

ولذلك انظر إلى الخطبة التي أعددتها إعدادًا جيّدًا، تجد أنك لم تنسها، ولو رجعت إليها بعد سنوات فإنك تعلمُ ما فيها، وكأنك ألقيتها قريبًا.

أما الخطب التي نقلتَها عن غيرك فسرعان ما تنساها، وجرب ذلك، ارْجع إلى الخطبِ التي مضى عليها أربع أو خمس سنوات، ستجد نفسك نسيتها أو تكاد تستذكر جزءًا يسيرًا مما جاء فيها.

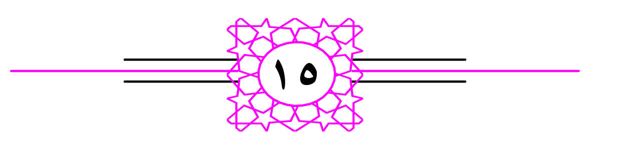
ولن تنتفع بها أيضًا في جمع مادتها؛ لتكون كتابًا يُنتفع به.

وَكَمْ مِن كِتَابٍ انْتَفَعَ النَّاسُ مِنْهُ: كان سببُه خطبةً ألقاها صاحبُها، فبعضُ الكتب والمؤلَّفات إنما كان أصلُها خطبةً أعدّها صاحبُها إعدادًا

جيّدًا فلاقت قبولًا واسْتحسانًا، فجعلها مُؤلّفًا انتفع مِنْه الكثير مِن النَّاس.

فَاجْتَهِدْ فِي إِعْدَادِ الخُطْبَةِ ـ إذا كنت تكتبها ـ وكأنَّك ستخرجها في كتاب، فخرِّج الأحاديث وبيّن درجة صحّتها بالاستعانة بكلام بعض المحدثين، ووثق المراجع والمصادر التي رجعت إليها، واهتم بها نحويًّا وإملائيًّا ولغويًّا.





العِنَايَةُ بِعَلامَاتِ التَّرْقِيم

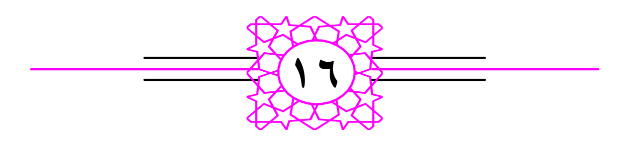
اهْتَمّ ـ إِذَا كُنْتَ تَقْرَأُ الخُطْبَةَ ـ: بعلامات الوقف والترقيم، من الفواصل ونحوها، واجعل لك علاماتٍ خاصَّةً تقف عندها مُراعاةً لِنَفَسِك، حتى لا تُحرَج بكثرة الوقوف عند أماكن غيرِ مُناسبة.

مِثَالُ ذَلِكَ: عالي الهمةِ يُرى منطلقًا بثقةٍ وقوةٍ وإقْدام نحو غايتِه التي حدَّدَها على بصيرةٍ وعِلْم.

هذه الجملة قد تكون طويلةً على بعض الخطباء، فيصعب عليه نطقها كلها بنفَسٍ واحد، **فالأولَى لَه**: أنْ يضع فاصلةً ـ ولو بخط يده ـ على مكان يقف فيه مُراعاةً لِنَفَسِه.

فَيَفْعَلُ هَكَذَا: عالي الهمةِ يُرى منطلقًا بثقةٍ وقوةٍ وإقْدام، نحو غايتِه التي حدَّدَها على بصيرةٍ وعِلْم.





١٦

أهَمِّيَّةُ تَنْوِيعِ المَوَاضِيعِ وَالأسَالِيبِ

نَوِّعْ فِي طَرْحِ المَوضُوعَاتِ، ولا تقتصر على نمطٍ واحد، كأنْ تكون خطبك عن أحوال القلوب، أو عن أمور الأمة العامة، أو نحو ذلك.

بل كن كثيرَ التنويع؛ لتبعث في نفوس الناس الشوق إلى خطبك.

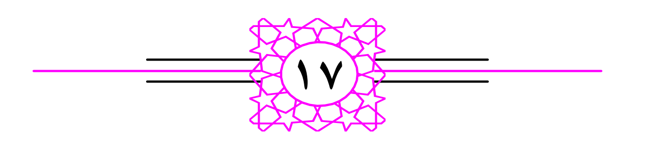
وإنْ جعلتَها سلسلةً مترابطة، فلا يمنع من قطعها عند الحاجة.

وَاعْلَمْ أنَّ القَصَصَ المَأْخُوذَةَ مِن الكتاب، وصحيح السُّنَّة، وأقوال الصحابةِ الكرام ﭫ لها أعظم الأثر على المستمعين، وفيها أعظم الدروس والعبر، والمواعظ والدرر، فكن حريصًا عليها وعلى طرحها بأسلوب مشوّق، واستنبط منها الفوائد والعبر.

وَلا تَجْعَلْ خُطْبَتَكَ خَالِيَةً مِن ذكْرِ المواقفِ، والقَصَص، والأمثلةِ الواقعيّة ونحوِها؛ لئلا تكون خُطَبَكَ مملَّةً وثقيلةً.

وَاحْرِصْ أشدّ الحرص على الأسلوب الأمثل في عرض القصص والمواقف، وأن تتفاعل معها بوجدانك، وأن يظهر ذلك على قسمات وجهك، ونبرات صوتك.

وَاحْرِصْ على أن تعيش واقع الناس وهمومهم، حتى لا تكون بواد وهم بوادٍ آخر.



أهَمِّيَّةُ اكْتِسَابِ مَهَارَاتِ وَفُنُونِ الإلْقَاءِ وَالتَّأثِيرِ

أولى النَّاسِ باكتساب مهارات وفنون الإلْقاء الخطيبُ؛ حيث إنّ الخطيب يحتاج إلى إقناع الناس، وشدّ انتباههم، كي يَقْبلوا ما يقوله لهم.

وَالخَطِيبُ صاحبُ الأسلوب القوي، والإلْقاء البديع ينتفع به الناس ـ غالبًا ـ أكثر ممن لا يتميّز بذلك، ولو كان أكثر علمًا، وأعلا منصبًا.

فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيب أنْ يستمع إلى دروسٍ في فنّ الإلْقاء، وإن حضرها فهو أفضل، أو يقرأ الكتب المَعنيّة بذلك.

«ومما يزيد الخطبة حُسْنًا على حسنها، أن يُجيد الخطيب إلقاءها، **وَنَعْنِي بِإجَادَةِ الإلقَاءِ**: أن لا يستمرَّ في نُطقِه بالجُمَل على حالٍ واحدة؛ بل تكون الجمل متفاوتةً في مظاهرها، من نحو رفع الصوت وخَفْضِه، وتفخيمه وترقيقه، والوقوف عند جملة، أو وصلها بأخرى، والضَّغْطِ على الكلمة أو التلفُّظ بها في هَوَادَةٍ.

وَأَنْتُم تَعْـلَمُونَ: أنَّ من هَيْئَات النطق بالجملة ما يُشعِرُ بابتهاجِ الخطيب أو حزنه، ومنها ما يُلائِم الجمل التي يلقيها وهو واثقٌ بصِحَّتها، ومنها ما يُلائِم الجمل المرسلةَ لتهكُّمٍ أو مزاحٍ، ومرجع هذا كلِّه إلى ذكاء الخطيب وسلامةِ ذَوْقِه.

وَجَوْدَةُ إلقَاءِ الخُطْبَة: هي التي تجعل لسماعِها فضلًا على قراءتِها

في صحيفة، وكم مِن خطبةٍ يُحسِنُ الرجلُ إلقاءَها فيجدُ النَّاسُ في سماعِها مِن الارتياح وهِزَّةِ الطَّرَبِ فوق ما يجدونه عندما يقرؤونها في صحيفة، أو يستمعون إلى من يسرُدها عليهم سَرْدًا متشابهًا»[١].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: كان حقًّا على كل خطيب غيور على دينه أن يجتهد غاية الاجتهاد في البحث عن أفضل طرق التأثير، وعن أسهل طرق توصيل الفوائدِ والمواعظ لهم.

وَلا يَنْبَغِي أن يترك بابًا من أبواب التأثير وفنون الإلقاء إلا طرقه، ولا ينبغي أن يظل على طريقةٍ واحدة لا يغيرها مدى حياته؛ بل ينبغي أنْ يسأل من يحضرون عنده عن اقتراحاتِهم ومدى تأثيرِ خُطبه عليهم، ويحضر الدورات التي تنمي فيه موهبة الخطابة والإلقاء والتأثير.

وَيَنْبَغِي العِنَايَةُ بالأسلوب المؤثر في نفوس الناس، والتأثير فيهم لا يكون عبر اكتساب خبرات علمية أو عملية، وهي نافعة بلا شك، ولكن التأثير لا يتوقف على ذلك؛ بل هو هبةٌ من الله تعالى يهبه لمن صدق معه، وأخلص في طلب نفع الناس وتبليغِ رسالاتِه، ونصحِ عبادِه.

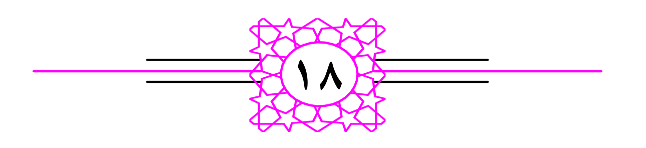
وَمَنْ صَدَقَ مَعَ اللهِ وَوَهَبَ نَفْسَهُ وَوَقْتَهُ لَه، وَهَبَ اللهُ لَهُ مِنْ لُطْفِهِ وَفَضْلِه مَا لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِه، وَلَمْ يَدُرْ فِي خَلَدِه، وَمَنْ أَعْطَى اللهَ مَا يُحِبّ، أَعْطَاهُ اللهُ فَوْقَ مَا يُحِبّ، وَمَنْ سَخَّرَ نَفْسَهُ لله، سَخَّرَ اللهُ لَهُ خَلْقَه، وَسَخَّرَ لَهُ أَسَبَابَ السَّعَادَةِ وَالرِّفْعَةِ وَالتَّمْكِين.

فَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَوَاهِبِ الرَّبِ الجَلِيلِ إلَّا صِدْقُ العَزِيمَة، وَقَوَّةُ

(١) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٩١).

الإِرَادَةِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَتَرْكُ مَا تُحِبُّ وَتَهْوَى لِمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَا، وَالسَّعِيُ الحَثِيثُ لِرِفْعَةِ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَلَو أَدَّى ذَلِكَ إلى نُزُولِ مَقَامِكَ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَهوَاءِ وَالمَنَاصِبِ.





مَبْدَأُ التَّجْدِيدِ

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الإنْسَانَ مُحبًّا للتَّجديد والتغيير نحو الأفضل، فتجد النَّاس لا يستقرّون على حالةٍ واحدة، وكلّما استجدّ شيءٌ في الحياة سارعوا إلى الحصول عليه عند مقدرتهم.

فَالرَّجُلِ اليَوْم ليس هو قبل عشر سنوات؛ بل تجده اليوم قد جدَّد وغيّر مظاهِرَ حياته ومعيشته ومركبه وبيته إلى الأفضل.

وَخَطِيبُ الجُمُعَةِ: مِن أحقّ الناس في تجديد أسلوبه وتحسينه، وتنمية مهارات الإلقاء والتأثير، فإنّه إذا سار على نمط واحد قد نشأ عليه منذ توليّه زمام الخطابة فإنه ولا شك لن يتغير للأحسن والأفضل؛ بل سيتراجع؛ لأنّ من طبيعة الإنسان أنه مع تقدم العمر وكبر السِّنِّ ستضعف همّته ونشاطه، وتذبل روحُه، ويقلّ تأثيرُه، فهو محتاج إلى ما ينشطه ويقويّ همته وروحه، وينمي مهاراتِه وأساليبه، لكي يتغلب على حالات الضعف التي تعتريه وتعتري حواسّه وهمّته.

وَأَكْثَرُ الخُطَبَاءِ لم يتغيّر تغيُّرًا واضحًا منذ بدأ في الخطابة، **فَهَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ الكَمَالَ مُنْذُ بَدَأ؟**

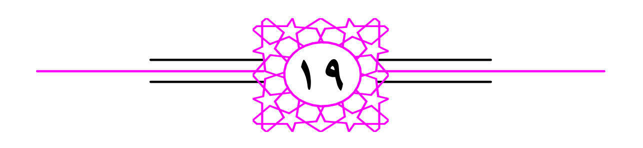
لا.

فَإِذًا، لِمَاذَا يظل على طريقته التي اعْتَادَ عليها، ولم يتعاهد أسلوبه

وطرحه، ويتخذ الخُطوات الصحيحة في التحسين والتجديد والإبداع، في حين أنه سعى جاهدًا في تحسين أموره المعيشيَّة والدنيويَّة؟

وكيف لا يسعى إلى ذلك ومقام الخطبة من أشرف وأعظم ما يقوم به في حياتِه؟





العِنَايَةُ بِأَدَاتِينِ مِنْ أدَوَاتِ التَّأْثِيرِ: الصَّوْت وَالنَّظَر

الخَطِيبُ النَّاجِحُ بأمس الحاجة إلى استعمالِ **هاتين الأداتين**:

١ ـ **الصَّوْت**، وهو أداةُ التأثير الأقوى، ويكمل تأثيره بمراعاة **ما يلي**:

أ ـ أنْ يكون مستوى الصوتِ متوسّطًا في رفعِه وخفضِه، وسرعتِه وبطئِه، فلا يكون منخفضًا أو بطيئًا فيُصيب المستمعين بالملل والفتور، ولا يكون مرتفعًا أو سريعًا إلى درجة إزعاجهم أو عدم قدرتهم على التركيز والاستيعاب.

ب ـ ألا يكون على وتيرة واحدة، فبعض الخطباء يكون صوته واحدًا في جميع الخطبة، فإن كان ضعيفًا أصابهم بالملل، وإن كان قويًّا مرتفعًا ضايقهم.

وَالحَدِيثُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ: يفقد المستمعين التفاعل مع كلام الخطيب؛ لأنهم لن يميزوا بين المواضع المهمة وغيرها، ومما لا شكّ فيه أنّ الكلام المهم والمؤثر يحتاج إلى رفعٍ ملحوظٍ للصوت مع تسارعه، أو خفضه مع بطئه.

ج ـ صياغة صوت الجُمَل حسب موقعها، فإن كانت استفهامًا فسُقْها سياق المستفهم، وإن كانت تعجبًا فسُقْها سياق المتعجب، وهكذا.

د ـ افتحْ فمَكَ أكثر من فتحه في حديثك المعتاد، فإنّ هذا يفيد في وضوح مخارج الحروف وعدم تداخلِها، والقدرة على التحكم بالصوت، ولكن دون مبالغة، فالمبالغة في فتح الفم يؤدي إلى الحماس المفرط، وإلى منظر غير لائق للخطيب.

هـ ـ اخطبْ بصوتِكَ المعتاد، ولا تجعل للخطبة صوتًا وأداءً مختصًّا بها، فيكون ذلك سببًا في وجود فجوة بينك وبين النَّاس، وسببًا في خسارتك لأقوى أدوات التأثير على المستمعين.

وَأَذْكُرُ أنّ أحد المقرئين المجوّدين قرأ على شيخنا إبراهيم الأخضر ـ حفظه الله ـ، فكثر ردّ الشيخ عليه، بسبب عدم إخراجه الحروف إخراجًا كاملًا، فعاتبه الشيخ وقال: إنّ السبب في ذلك ليس لجهلك وضعف تجويدك.

ولكنَّ السبب في ذلك هو تركُك القراءةَ من الطبقة الواسعة ـ وهي صوتك العادي ـ، وقراءتك من الطبقة الضيّقة.

فعمل بما أشار إليه الشيخُ فحسنت قراءته حينما قرأ بصوته المعتاد، فقال له الشيخ: هذه هي القراءة السليمة، أو نحوها من العبارات.

فليس لأداء القراءة والخطابة صفةٌ مختصةٌ بها؛ بل ينبغي للخطباء أن يقرؤوا بأصواتهم العادية دون تكلّف.

والذي يخطب من ورقة لا يُحس منه الحاضرون أنه يُخاطبهم ويُحدثهم؛ بل يشعرون أنه قد أعدّ كلامًا يلقيه على مسامعهم، ويشعرون بالفجوة بينهم وبينه.

بخلاف من يرتجل الخطبة، فإنه من خلال إقباله عليهم بوجهه

ونظرات عينيه، يُحسون ـ بلا شك ـ أنه يُحدثهم مباشرةً، وأنه قريب منهم، قد دخل حديثُه قلوبَهم، كما ملأت نظراتُه أعينَهم، فلذا يُقبلون عليه بقلوبهم ووجوههم، ولا يكاد أحدٌ يشرد ذهنُه، ولا يُفكر في غير الكلام الذي يسمعه منه.

والتوقف يسيرًا في الحالات التي يحسن فيها التوقف، «فإذا مرّ الخطيب بفكرةٍ مهمّة يرغب في ترسيخها في أذهان مستمعيه: توجه إليهم، وأحدق بعيونهم مباشرة للحظة، دون أن يقول شيئًا.

وَهَذَا الصَّمْتُ المُفَاجِئ له أثرٌ كبير عليهم، بحيث يجذب انتباههم، ويجعل كل واحد منهم منتبهًا ومتحفزًا لما سيعقب ذلك الصمت.

لَكِنْ يَجِبُ أن يكون التَّوقف بِلا فاصل طويل، وبِلا تكلُّف»[1].

مِثَالُ ذَلِكَ: (بَعَثَ عَلِيٌّ ﵁ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِقِطْعَةٍ مِن ذَهَب، فَقَسَمَهَا بَيْنَ بعض أصحابِه.

فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَال: اتَّقِ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ! (...)

يا لها من جرأةٍ وقلةِ أدبٍ في حقِّ الصَّادق الأمين ﷺ!!

ولذلك قال رسولُ الله ﷺ مُتعجِّبًا من هذه الجُرأةِ والوقاحة: (...) مَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمَنُنِي اللهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي؟).

مَا بَيْنَ القَوسِينِ يُشِيْرُ إلى وَقْفَةٍ يَسِيْرَة؛ لأنَّ المقام يقتضي ذلك لشدّ انتباه المستمعين، وتشويقهم لِمَا سيُقال بعدها.

والجملةُ الأُولى التي تحتها خط: كَانَت أُسْلُوبَ تَعَجُّب، فالمقام يقتضي أنْ يصوغها هذه العبارة صياغة متعجب.

---

(١) «فن الإعداد والإلقاء»، للرائد: سامي الحمود (١٤٣)، مع التصرف.

والجملةُ الثانيةُ التي تحتها خط: كَانَت أُسْلُوبَ اسْتِفْهَام إنْكَار، فالمقام يقتضي أنْ يصوغها صياغة مستفهمٍ منكر.

٢ ـ النَّظَر: وذلك بتوزيع النظر على عموم المستمعين، وبأنْ تتفاعل بعينيك مع الحديث الذي تتكلم به، ويكون ذلك:

أ ـ بالالتفات اليسير يمينًا وشمالًا، دون المبالغة في الالتفات سرعةً أو كثرةً، فإنه لا يستحسن من الخطيب على وجه الخصوص؛ لأنه يدل على تغليب الخطيب لعواطفه وتسلّطها عليه، ويُؤدّي ذلك إلى عدم الدقة في التركيز.

ب ـ بفتح العين أو الضغط عليها يسيرًا، وحركات العين لها أعظم الأثر على الحاضرين، ويستلهمون منها معانٍ قد لا يُفصح عنها اللسان، وصدق القائل.

العَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا   مِن المَحْبَةِ أو بُغْضٍ إذَا كَانَا
وَالعَيْنُ تَنْطِقُ وَالأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ   حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ القَلْبِ تِبْيَانَا

وَالصَّوْتُ وَالنَّظَرُ: هما ركنانٍ أساسيّان من أركان تأثير الخطيب على المستمعين، وبدونهما يفقد القدرة على إيصال ما يريده لهم، ويفقد القدرة على إقناعهم، وشدّ انتباههم، وحماسهم ونشاطهم.

وَبِالإمَكَانِ لِكُلِّ خَطِيبٍ أنْ يستعملهما دون حرج ولا تكلفّ، لكن بِدُونِ مبالغة، فالمبالغة في ذلك تنمّ عن خفّة وطيش، كما أنّ المبالغة في التَّوقُّرِ والسكون تدعو إلى الملل والسآمة، وخير الأمور أوسطها.

وَهُنَاكَ بَعْضُ الأدَوَاتِ الَّتِي لا تُنَاسِبُ خَطِيبَ الجُمُعَةِ، وَمِنْهَا:

١ ـ تحريك اليدين.

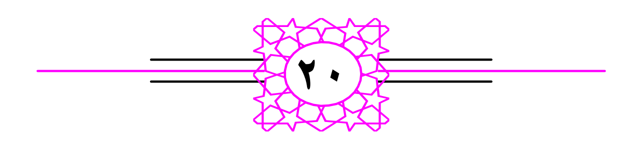
٢ ـ حركة الجسد بالمشي ونحوه إذا كان المتحدثُ واقفًا على مسرحٍ ونحوِه.

وغيرها من الأدوات.

وَالَّذِي يَخْطُبُ مِنْ وَرَقَةٍ لا يكاد يُجيد مهارة الصوت والنظر، سوى مهارة التحكم بمستوى الصوتِ، وهذا من أعظم مساوئ الخطابة بورقة.

وَإِنِّي أَجْزِمُ لو ذاق مَن يخطب بورقة لذةَ الخطابة ارتجالًا، وحلاوةَ استعمال هذه المهارات، ولذةَ حماس وتأثُّر المستمعين، ولذةَ الطَّلاقة في الكلام والقدرةَ على الاستحضار: لندم على سنواتٍ لم يخطب فيها ارتجالًا.





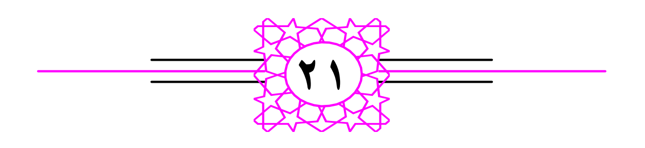
لا تَلْتَزِمْ صِيغَةً مُعَيَّنَةً لَمْ تَثْبُتْ بِالسُّنَّة الصَّحِيحَةِ

لا يَنْبَغِي الِالْتِزَامُ بصيغةٍ معيّنة إلا ما ثبت بالسُّنَّة الصحيحة، حتى لا يُظنّ بأنها سُنَّة؛ كقول: **بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيم**.. في نهاية الخطبة الأولى.

وَمَعَ ذَلِك فَمِنَ السُّنَّةِ تَرْكُ السُّنَّةِ أحْيَانًا؛ لئلا يعتقد الناس وجوبها، فكيف بالْتزام ما لم يثبت شرعًا!.

وَكَثِيرًا مَا يَلْتَزِمُ بَعْضُ الخُطَبَاءِ دُعَاءً في آخر الخطبة لا يكادون يخرجون عنه، وبعضهم يُطيل في هذا الدعاء المتكرر، حتى إنّ كثيرًا من الناس إذا بدأ الخطيب في الدعاء يشعر بالضيق والملل؛ لأنه سئم من كثرة تكراره بأسلوبٍ يغلب عليه السَّرد وعدم التفاعل المطلوب في الدعاء.





العِنَايَةُ بِمَخَارِجِ الحُرُوفِ وَعَدَمِ تَدَاخُلِهَا

احْرِصْ على أن تلفظ بالحروف مُتَمَكِّنَةً من مخارجها، فإنَّ لذلك تأثيرًا بالغًا في الفصاحة والبيان وقوة الكلام.

«وقد كان العربُ يحتفلون بهذا الوجه من الحُسْن، فَيَأْسَفُ الخطيبُ على سقوط شيءٍ من أسنانه، وإنَّما يَأْسَفُ لأنَّه يَفُوتُه النُّطْقُ ببعض الحروف على وجهها الصحيح.

وَلَمَّا سَقَطَتْ ثَنَايَا عَبْدِ المَلِك بْنِ مَرْوَانَ فِي الطَّسْتِ، شَدَّ أَسْنَانَهُ بِالذَّهَبِ، وَقَالَ: «وَاللهِ، لَولا المَنَابِرُ وَالنِّسَاءُ مَا بَالِيتُ مَتَى سَقَطَتْ»[١].

وَمِمَّا يُؤْاخَذُ بِهِ الخَطِيب: أن ينطقَ بالألفاظ في عَجَلٍ حتى يَصِلَ الحرفَ أو اللفظَ بأخيه قبل أن يستقرَّ الحرفُ أو اللفظُ الأول في موضعِه، والأدب الجميل أن يمكِّن الحروف تمكينًا، ويفصِّلَ الكلمات تفصيلًا»[٢].

وكذلك كان كلامُ أفصحِ الخليقة صلوات الله وسلامُه عليه.

قَالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ﵂: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ**

---

(١) «الكامل في اللغة والأدب»، لابن المبرد، أبي العباس (ت٢٨٥هـ) (٣/ ١٤٤)، «البيان والتبيين»، للجاحظ (ص٤٦).

(٢) «الخطابة عند العرب»، لمحمد الخضر حسين (١٨٩).

الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»[١] .

وَأَهْلُ التَّجْوِيد: يُعْنَون بمخارج الحروف، فلذا ينبغي للخطيب الحصيف أنْ يقرأ القرآن على قارئ مجوّد متقن، ويطبق ما تعلّمه في تلاوة القرآن في خُطبِه.

فإذا نطقت القاف فانطقها مفخمة، وإذا نطقت بحرف مشدّد فانطقه كذلك، ومدّ المدود الطبيعيّة مقدار حركتين، وهكذا افعل في بقية الحروف.

«فالذي يعتاد على قراءة القرآن مُجوّدًا، بحيث يُعطي الحروف حقوقها وصفاتِها يكون كلامُه أعظم وقعًا في النفوس، وأجمل وأبلغ وأوضح.

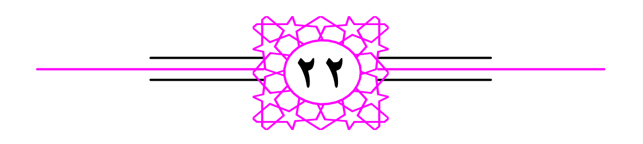
وَبِالأخَصِّ: المدود الطبيعية؛ فإنَّ لها تأثيرًا ظاهرًا في فصاحة المتكلم والخطيب، حيث تَخرج كلماته واضحة فصيحة، وهي مهمة لمن يُعاني من السرعة في الكلام، حيث تفصل بين الحروف مِمَّا يُسبب عدم اختفاء بعض الحروف بسبب العجلة والسرعة.

وَأَعْرِفُ مَن يُعَانِي مِن ذلك أشد العناء، حتى يُرى ذلك عليه أثناء حديثه للناس في الخطابة والكلمات وغيرها، فاعتنى بحروف المدود وأتقنها فزال عنه ذلك تمامًا والحمد لله»[٢] .



(١) رواه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٢) «الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعةِ»، للمؤلف (١٧٢ ـ ١٧٣).



مَقْصُودُ الخُطْبَةِ، وَأَهَمُّ المَوَاضِيعِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الخَطِيبِ طَرْقُهَا

يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أن ينقل الناس من عالم الدنيا وهمومها وأحداثها إلى عالم الآخرة والاستعداد لها، ولا ينبغي أن يكون المسجدُ منبرًا إعلاميًّا، يتطرق فيه الخطيب للأمور السياسية ويخوض فيما لا ينفع المستمعين في دينهم ولا دنياهم.

وَالخَطِيبُ المُوَفَّقُ يكون أكثر خطبه فيما يزيد الإيمان والتعلق بالله تعالى؛ فإنّ الناس إذا زاد إيمانهم وعظم تعلقّهم بربهم كان ذلك أعظم سبب في هجرهم للمعاصي وَسَفَاسِفِ الأمور.

وَمِن المَوَاضِيعِ الَّتِي تَزِيدُ الإِيمَانَ وَالتَّعلُّقَ بِاللهِ:

١ ـ تعظيمُ الله بذكر صفاته وآلائه في نفوس الناس.

٢ ـ تعظيمُ القرآن الذي هو كلامُه.

٣ ـ ذكرُ قصص الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم خاتمهم نبيّنا محمد ﷺ، والصحابة الكرام رضي الله عنهم.

٤ ـ ذكرُ الجنَّة وأوصافها وأسباب دخولها، وكذلك النار.

٥ ـ العناية بالعبادات القلبية: كالتوكل والإنابة والتوبة والخشية والخشوع.

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَن تأمَّل خطبَ النَّبيِّ ﷺ وخطبَ أصحابِه، وجدَها كفيلةً ببيانِ الهُدى والتَّوحيد، وذكْرِ صفاتِ الرَّب جَلَّ جَلَالُهُ، وأصول الإيمان الكلية، والدَّعوة إلى الله، وذكْرِ آلائِه تعالى التي تحببه إلى خلقِه، وأيامِه التي تخوفهم مِن بأسِه، والأمر بذكرِه وشكرِه الذي يحببهم إليه، فيذكرون مِن عظمةِ الله وصفاتِه وأسمائِه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون مِن طاعتِه وشكرِه، وذكْرِه ما يحببهم إليه، فينصرف السَّامعون وقد أحبوه وأحبهم.

ثُمَّ طَالَ العَهْدُ وَخَفِيَ نُورُ النُّبُوَّةِ، وصارتْ الشَّرائِعُ والأوامر رسومًا تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها، وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفِقَر، وعلم البديع، فنقص؛ بل عُدم حظُّ القلوب منها، وفات المقصود بها». اهـ[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي حَدِيثِهِ عَنْ مَقْصُودِ الخُطْبَةِ**: «يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها». اهـ[2].

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ الفُوزَان ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ: «وبعض الخطباء أو كثير منهم يجعل الخطبة كأنها موضوع إنشاء مدرسي، يرتجل فيه ما حضره من

---

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ٣٨٦).

الكلام بمناسبة وبدون مناسبة، ويطيل الخطبة تطويلًا مملًّا، حتى إن بعضهم يهمل شروط الخطبة أو بعضها، ولا يتقيد بمواصفاتها الشرعية، فهبطوا بالخطب إلى هذا المستوى الذي لم تعد معه مؤدية للغرض المطلوب من التأثير والتأثر والإفادة.

وَبَعْضُ الخُطَبَاءِ: يقحم في الخطبة مواضيع لا تتناسب مع موضوعها، وليس من الحكمة ذكرها في هذا المقام، وقد لا يفهمها غالب الحضور؛ لأنها أرفع من مستواهم، فيدخلون فيها المواضيع الصحفية، والأوضاع السياسية، وسرد المجريات التي لا يستفيد منها الحاضرون.

فَيَا أَيُّهَا الخُطَبَاءُ: عُودوا بالخطبة إلى الهدي النبوي، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، ركزوا مواضيعها على نصوص من القرآن والسُّنَّة التي تتناسب مع المقام، ضمِّنوها الوصية بتقوى الله والموعظة الحسنة، عالجوا بها أمراض مجتمعاتكم بأسلوب واضح مختصر، أكثروا فيها من قراءة القرآن العظيم الذي به حياة القلوب ونور البصائر». اهـ[(١)].

وَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أنْ يُنَبِّهَ النَّاسَ على الأخطاء المنتشرة بينهم في الأخلاق والتعامل والمعيشة والتربية ونحوها، ويحذرهم من الخوض في الفتن، والتحزب والانتماء للجماعات، ويُعلّمهم أمور دينهم.

فَإنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يعلم النَّاس سُننَ الصَّلاة وكيفيّتها في خطبة الجمعة، **فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِه»**[(٢)]: عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَيَّنَ لَنَا سُنَّتَنَا وَعَلَّمَنَا

---

(١) «الملخص الفقهي» (١/ ١٠٣).
(٢) (٤٠٤).

صَلَاتَنَا، فَقَالَ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذْ قَالَ**: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]، **فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ**... إلى آخر الحديث.

وَهَذَا يَعْنِي: بأنَّ خُطَبَ النَّبِيِّ ﷺ لم تكن وعظيّةً دائمًا، ولم تكن بأسلوب واحد، فقد كان يَعِظُ وَيُعَلِّمُ، ويتفاعل مع الموعظة فتحْمَرّ عَيْنَاهُ، وَيعَلو صَوْتُهُ، وَيشْتَدّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»(١).

وهذا بخلاف خطب التَّعليم، فإنَّه لا ريبَ أنَّه لم يكنْ يتفاعل معها كما يتفاعل مع خطب الوعظ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ اجْتِنَابُهُ، مَا نَبَّهَ عَلَيهِ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: وهو الذي خاضَ غِمَارَ الخطابة زمنًا طويلًا ـ: «**وَمِنْ التَّغْفِيلِ تَكَلُّم القُصَّاصِ عِنْدَ العَوَامّ الجَهَلَةِ بِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ الإِنْسَانُ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ، وَمُخَاطَبَةُ الْعَوَامّ صَعْبَةٌ؛ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَرَى رَأْيًا يُخَالِفُ فِيهِ الْعُلَمَاءَ وَلَا يَنْتَهِي**...

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولفظه: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ**.. وصيغة «كان» لا تقتضي المداومة كما قرر ذلك أهلُ اللغة وغيرهم.

قال الحافظ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ: بِمُجَرَّدِهَا لَا تَقْتَضِي مُدَاوَمَةً وَلَا تَكْثِيرًا، لَكِنْ ذِكْرُ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ بَعْدَهَا يُشْعِرُ بِالتَّكْرَارِ». «فتح الباري» (١١/ ٢٧).

وقال ابنُ دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ يَفْعَلُ كَذَا»: بِمَعْنَى أَنَّهُ تَكَرَّرَ مِنْهُ فِعْلُهُ، وَكَانَ عَادَتُهُ، كَمَا يُقَالُ: كَانَ فُلَانٌ يُقْرِي الضَّيْفَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ.

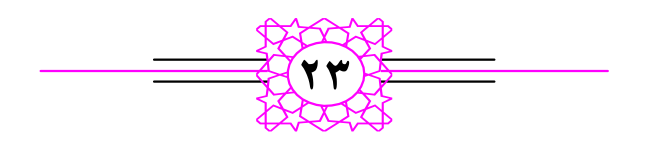
وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ «**كَانَ**»: لِإِفَادَةِ مُجَرَّدِ الْفِعْلِ، وَوُقُوعِ الْفِعْلِ، دُونَ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّكْرَارِ، وَالْأَوَّلُ: أَكْثَرُ فِي الِاسْتِعْمَالِ. «إحكام الأحكام» (١/ ١٣٠).

وَلَا يَنْبَغِي لِلْوَاعِظِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِغَيْرِ الْوَعْظِ؛ فَإِنَّهُ يُعَادَى وَمَا يَتَغَيَّرُ ذُو عَقِيدَةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَغْرَاضَ الْعَوَامِّ لَا يَقْدِرُ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَغْيِيرِهَا»(١).

❁ ❁ ❁

(١) «الآداب الشرعية»، لابن مفلح (٢/ ٨٩ ـ ٩٠).



الحِرْصُ عَلَى رِبَاطَةِ الجَأْشِ أثْنَاءَ الخُطْبَةِ

لا بد أن تكون هادئًا أثناء الخطبة، ولا يأخذك الحماس فتخرج عن الموضوع، أو تتكلم بكلام قد تندم عليه بعد ذلك، وإذا اشتد حماس الخطيب فإنه سيفقد في الغالب تركيزه والتحكم بكلامه، وربما علا صوته إلى حدّ إيذاء كثير من المستمعين.

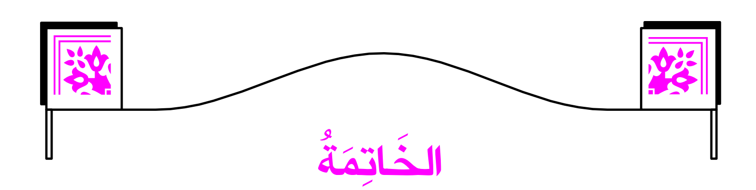
فلا بُدَّ أنْ يكونَ: «**الخَطِيبُ رَابِطَ الجَأْشِ**[١]؛ **أيْ: سَاكِنُ النَّفسِ جِدًّا، لا يَعْتَرِيه الحَمَاسُ الشَّدِيدُ، وَلا يُسَيطِرُ عَلَيهِ الخَوْفُ المُفْرِطُ، وَهُمَا سَبَبُ الارْتِجَاجِ وَالزَّلَلِ.**

وَعَلامَةُ سُكونِ نَفسِ الخَطِيبِ وَرِبَاطَةِ جَأْشِهِ: **هُدُوُّهُ فِي كَلامِه، وَتَمَهُّلُهُ فِي مَنْطِقِه**»[٢].



(١) **الجَأْش**: القلب، والنَّفْس، والجَنَان، يقال: **فُلَانٌ رابِطُ الجَأْش**: أَيْ: ثَابِتُ القَلْب لَا يَرْتاع وَلَا ينْزعج للعَظائم والشَّدائد. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (١/ ٢٣٢)، مادة: (جأش).

(٢) «كتاب الصناعتين»، لأبي هلال العسكري (ص٢١).



الخَاتِمَةُ

كتبتُ هَذِهِ الخَوَاطِرَ وَالنَّصَائِحَ راجيًا من الله تعالى أن تكون عونًا لي ولغيري على أداء هذه الأمانة العظيمة، والمسؤولية الكبيرة، والرسالة الخطيرة، والمنصب الشريف، والمقام المُنيف، ألا وهو: **خُطْبَةُ الجُمُعَةِ**.

هَذَا، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى: أن يوفق خطباء المسلمين إلى كلّ خير، وأن ينفع بهم، ويسددهم، ويجزيهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، على بذلهم ونصحهم وقضاء كثير من أوقاتهم في خدمة الإسلام والمسلمين.

وَآخِرُ دَعْوَانَا: أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّهِ النَّاصِحِ الأمِين، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أجْمَعِيْن.



الفهرس

الموضوع | الصفحة

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

١ ـ إرْشادُ السَّاجِدِ بأسْبابِ الخِلَافِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.
٢ ـ الإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاسِ والاسْتِحَاضَةِ.
٣ ـ حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الثالثة).
٤ ـ بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأَسْبَابُ والْعِلَاجُ.
٥ ـ حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.
٦ ـ كَيْفَ تُرَبِّي أَبْنَاءَكَ؟ ثَلَاثُونَ قَاعِدَةً تُوصِلُكَ إلى أحْسَنِ وأَنْجَحِ الطُّرُقِ فِي التَّرْبِيَةِ.
٧ ـ آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنَائِه ورُسُوخِه.
٨ ـ الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.
٩ ـ عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.
١٠ ـ الْمَعِيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوَائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.
١١ ـ مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَى الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.
١٢ ـ تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.
١٣ ـ مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.
١٤ ـ قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِديْن والْمُشَكِّكيْن والْمُوسْوِسيْن، معَ بَيَانِ طُرُقِ إقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.
١٥ ـ الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْويدِ والأَحْرُفِ السَّبْعةِ.
١٦ ـ عِبَاراتٌ أثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي.
١٧ ـ عَبْقريَّةُ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.
١٨ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.
١٩ ـ بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
٢٠ ـ صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ.
٢١ ـ صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.
٢٢ ـ الأُنْسُ بِاللّٰه تَعَالَى.

«محْتوَى الكِتَاب»

١ ـ أهمِّيَّة الخُطْبةِ في الإسْلامِ، ومَدَى تأثيرها في النَّاس، المقصود بالارْتِجَال، وكيفَ الوصولُ إليه، وأساليبَ تطويرِ فنِّ الخَطَابَة.

٢ ـ مزايا ارْتجالِ الخُطْبة، وآفات قراءَتِها.

٣ ـ بخمس خُطُوات تُوصلكَ للارْتجال.

٤ ـ ستّ خُطُوات تُعينُ علَى ارْتجالِ الخُطَب بلا توتُّر.

٥ ـ السَّلْبِيَّات في ارْتجالِ الخَطَابَة، وسُبُلَ الخَلاصِ مِنْها.

٦ ـ أفْضَلُ حَلٍّ لِلانْتِقَادَاتِ الخَاطِئَةِ الَّتِي تَأتِيكَ.

٧ ـ مَهَارات تَحْسينِ الذَّاكرة.

٨ ـ (وصَايا للخطيب قبل الخُطْبَةِ).

٩ ـ (وصايا للخطيب أثْنَاءَ الخُطْبَةِ).

١٠ ـ (وصايا للخطيب بَعْدَ الخُطْبَةِ).

١١ ـ ثلاث وعشرون نَصيحة عامَّة للخطيبِ ولكُلِّ داعٍ إلى الله، تَتعلَّقُ بشخصيَّة الخَطيب، والاعتناءِ بِمَظْهرِه، وتَحْسينِ خُطْبتِه ومَنْطقِه، وكيفَ يُحْسنُ التَّعامُل مع النَّاس، والتَّركيز على نَفْعِهم في دينِهم ودُنياهُم، وغيرها مِن الأمورِ المُهمَّة التي تتعلَّق بفنِّ الخَطَابة وآدابِ الخطيب.